ISLAMIC PSYCHOLOGY COLLEGE

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي
PADİR
İslami Psikoloji Hakemli Dergisi

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

Issue 4 – December 2024

العدد الخامس – ديسمبر 2024

## الأبحاث والدراسات:

1- **إسهام العلماء المسلمين في تدبير الصحة النفسية.**

د. الدكتور سعيد الشوية

2- **التخطيط في القرآن الكريم من خلال سورة يوسف أنموذجا.**

د. عدنان مهنديس.

3- **بحث في أهداف التعليم وبرامجه ومحله.**

د. حمزة شرعي.

4- **أثر التربية الأسرية السليمة في تحقيق العمران من خلال القرآن الكريم.**

د. محمد مقساوي.

5- **منهاج مادة التربية الإسلامية وإشكالات الاشتغال الديداكتيكي.**

د. خالد البورقادي.

مجلة فصلية محكمة – تصدر عن كلية علم النفس الإسلامي

ISSN : 3023-6231

# مجلة بادر

## مجلة فصلية محكمة

## تصدرعن كلية علم النفس الإسلامي - تركيا

## تعنى بالبحث العلمي في مجال علم النفس الإسلامي

مجلــة بــادر

info@journal.padir-der.org

journal.padir-der.org

00905522880846

ISSN :3023-6231

مجلة بادر

المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

**مجلة بادر**

مجلة فصلية محكمة، تعنى بالبحث العلمي في مجال علم النفس الإسلامي

**رئيس التحرير:**

د. محمد محمود مصطفى- عميد كلية علم النفس الإسلامي – مصر.

**مدير التحرير:**

د. يوسف عكراش- وزارة التربية الوطنية - المملكة المغربية

**هيئة التحرير:**

- د. ماجدة المولا / نائب مدير - كلية علم النفس الإسلامي – تركيا.
- د. علي الصهيل- كلية علم النفس الإسلامي – السعودية.
- د. إيمان عوض - جامعة أم درمان – السودان.
- د. شيماء حسنين- كلية علم النفس الإسلامي – مصر.
- د. منال عبد النعيم – جامعة القاهرة– مصر.

- التدقيق اللغوي: أ. ناجية بشير
- السكرتيرة التنفيذية: أ. نور ترجمان اوغلو
- الإخـراج الفـني: م. عُباد بعلي أوغلو

**الهيئة الاستشارية**

- بروفيسور عبد الله بن ناجي المخلافي
- بروف داتو د. أنصاري أحمد – رئيس جامعة آسيا – ماليزيا.
- بروف د. محمد عثمان شيخ – رئيس الجامعة الإسلامية – كينيا.
- بروف د. سليمان ديرين – جامعة مرمرة – كلية الإلهيات – تركيا.
- د. حميد أكتشاي – جامعة بندرما 17 أيلول – تركيا
- د. خالد مختار الزمزمي – جامعة هوبكنز – أمريكا
- د. حمدي عبيد – المجلس الاسلامي العالمي للدعوة والإغاثة – مصر.
- د. بخيتة علي - جامعة الخرطوم- السودان
- د. محمد محمود مصطفى- كلية علم النفس الإسلامي – مصر.

ISSN:3023-6231

## شروط النشر

- أنْ تندرج المادة المرسلة للتحكيم ضمن تخصص المجلة وما يتقاطع معه.
- أنْ يكون البحث أصيلًا، وليس مستلا من عمل سابق أو مبنيًا على أفكار مستهلكة ومبحوثة سابقًا.
- أنْ يلتزمَ الباحث بمواصفات البحث العلمي الأكاديمي، وأنْ يحترمَ قواعد، وضوابط التوثيق والكتابة الخاصة بالمجلة (ينظر موقع المجلة).
- أن يبرز الباحث في مقدمة البحث الإشكالية التي يروم الإجابة عنها مع توضيح وجهة نظره في مقاربتها.
- أنْ تكونَ لغة المادة المرسلة للتحكيم لغة علمية أكاديمية رصينة لا خطأ فيها.
- أنْ تُعتمدَ الدقة والأمانة في الاقتباس والأخذ بالنزاهة في توجيه معاني النصوص ودلالتها.
- يشترط في المادة ألا تكون قد نُشرت إلكترونيًا أو ورقيًا أو مقبولة للنشر أو قدمت إلى أي جهة أخرى.
- أن يتراوح عدد كلمات البحث بين 4000 و8000.
- تقبل المشاركات الفردية والثنائية والجماعية.
- تقبل المجلة قراءات ومراجعات الكتب، والترجمات، والحوارات بما هو متوافق مع ضوابط الكتابة في هذه أنواع.

مجلــة بــادر

info@journal.padir-der.org

journal.padir-der.org

ISSN :3023-6231

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

## الفهرس

افتتاحية العدد ..... 6

الأبحاث والدراسات:

1. إسهام العلماء المسلمين في تدبير الصحة النفسية ..... 9

د. الدكتور سعيد الشوية

2. التخطيط في القرآن الكريم من خلال سورة يوسف أنموذجا..... 30

د. عدنان مهنديس.

3. بحث في أهداف التعليم وبرامجه ومحله ..... 47

د. حمزة شرعي.

4. أثر التربية الأسرية السليمة في تحقيق العمران من خلال القرآن الكريم ..... 76

د. محمد مقساوي.

5. منهاج مادة التربية الإسلامية وإشكالات الاشتغال الديداكتيكي ..... 88

د. خالد البورقادي.

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد؛

فإنه من دواعي الشكر والحمد والامتنان لله تعالى إصدار العدد الخامس من مجلة "بادر"؛ مجلة كلية علم النفس الإسلامي المحكمة، وهي نتاج فضل الله تعالى ثم توفيقه لعدد من الباحثين والأكاديميين والإداريين والمنسقين، فالشكر لله تعالى أولًا ثم للجميع، وقد اشتمل هذا العدد على خمس ورقات أو أبحاث علمية، وقد تناول البحث الأول إسهام العلماء المسلمين في تدبير الصحة النفسية: أبو زيد البلخي المتوفى (322هـ) أنموذجًا، للدكتور سعيد الشوية، أستاذ بالمدرسة العليا للأساتذة بمرتيل، التابعة لجامعة عبد الملك السعدي بتطوان؛ وخلص في ورقته أن أبا زيد البلخي نموذج من النماذج المشرقة التي أنتجته الحضارة الإسلامية، وقدمته للإنسانية بإبداعاته وعبقرية في مجالات العلوم الطبية ولا سيما علم النفس، والتي أسهم هذا البحث في الإشارة إليها وإثارتها؛ وأشار إلى طلبه بأنه لعل الباحثين يتلقونها بهمم عالية للاستمرار في دراستها وبيان سبق المسلمين في مجال علم النفس، وإسهامهم العلمي في بناء الحضارة الإنسانية، وإنشاء العلوم الإنسانية والاجتماعية وجملة المعارف في صلة بأصولهم الدينية.

وتناولت الورقة الثانية المقدمة من الدكتور عدنان مهنديس، الباحث في الدراسات الإسلامية وقضايا التربية والتكوين، والتي عنوانها: التخطيط في القرآن الكريم من خلال سورة يوسف أنموذجًا، وتعالج ورقته العلمية مصطلح التخطيط في القرآن الكريم بغية وضع المعالم التفسيرية له، وذلك من خلال سورة يوسف، لأنها مليئة بالأحداث التي يصلح أن تكون وعاء لهذا الاشتغال، وقد تم العمل في هذا البحث على تصنيف أنواع التخطيط إلى تربوي، اجتماعي، واقتصادي، مع الأخذ بعين الاعتبار توزيع هذه الأصناف إلى نوعين؛ إيجابي وسلبي، والقصد من وراء ذلك كله هو كشف الرؤية القرآنية للتخطيط بما يضيء للإنسان الراشد سبل الحياة في الواقع، ودعا في ورقته إلى ضرورة اهتمام الباحثين برصد معالم التخطيط النبوي

من خلال السيرة خاصة في المغازي نظرًا لأنها تعج بكثرة الأحداث المشفوعة بالآثار، فوجب رصد معالم هذا التخطيط للاهتداء به في تخطيط مجموعة من الأصعدة التي تحتاجها الأمة في تطورها الحضاري.

وقدّم الورقة الثالثة أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي، الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين–جهة الشرق-المغرب، حمزة شرعي، والتي عنونها بـ "أثر المحددات النفسية والاجتماعية المعتبرة عند الحجوي في التمييز بين تعليم البنات والبنين" وهي ورقة علمية تناقش أهداف التعليم وبرامجه ومحله، وذهب الباحث إلى ان الإمام محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي يعد أول مدافع عن حق المرأة في التعليم، وذلك في فترة منغلقة كانت فيها النساء محرومات من حقهن في التمدرس، وقد تضمنت كتاباته في هذا السياق إشارات نفسية مهمة لا زال علماء النفس التربوي يؤكدونها بإلحاح، وتتعلق بطبيعة المتعلم والمتعلمة، وإمكاناتهما وحاجاتهما المختلفة. وقد جاءت تلك الإشارات ضمن خصوصيات النظام التعليمي للبنات التي نبه إليها، والتي تعود إلى ثلاثة مستويات رئيسة هي: أهداف التعليم، وبرامجه، ومحله.

وتعتبر التربية الأسرية الدعامة الأساسية لبناء المجتمعات التي بها يبنى العمران، لأنها المدرسة الأولى للتنشئة على القيم الدينية والمعرفية والاجتماعية والاقتصادية ... والمهارات الأساسية لتنمية الفرد وتشكيل شخصيّته القوية وتأهيله للمشاركة الفعّالة في بناء المجتمع، وهي الطريق نحو تحقيق التنمية المستدامة والشاملة فالتربية عملية لا أمية كبيرة في التنشئة على القيم الفاضلة، فإصلاح أي أمة لا يكون بالقضاء على الشرور فقط، بل بتربية الأجيال على القيم الحميدة وبالتالي رفعها إلى مستوى الإنسانية الحق، ولذلك فالتربية المبنية على أسس سليمة تؤدّي دورًا أساسيا في تنمية قيم الصدق والعدالة والاحترام والتعاون والمسؤوليّة لدى الفرد، ما يعزِّز التسامح والتعايش السلميّ في المجتمع. وتعزّز التربية اكتساب مهارات الاتّصال والتواصل، وحلّ المشكلات، واتّخاذ القرار، والتفكير الناقد الضروري للنجاح في الحياة الشخصيّة والمهنيّة، فمن خلال تنمية هذه القيم والمهارات تستطيع التربية أن تبني أفرادا قادرين على الإسهام بفاعليّة في تقدّم المجتمع وتحقيق التنمية المستدامة وذلك ما حاول بيانه في هذه الورقة العلمية د. محمد مقساوي في ورقته التي عنونها بـ أثر التربية الأسرية السليمة في تحقيق العمران من خلال القرآن الكريم.

وقام الباحث الدكتور خالد البورقادي، دكتوراة في أصول الفقه ومناهج التدريس - مفتش ممتاز لمادة التربية الإسلامية، وزارة التربية الوطنية-المغرب بتقديم الورقة الأخيرة لهذا العدد التي عنوانها: منهاج مادة التربية الإسلامية وإشكالات الاشتغال الديداكتيكي، وقد رصد أهم الإشكالات الديداكتيكية التي تواجه

الأساتذة في تنزيلهم لمنهاج المادة المعدل في يونيو2016، حيث وقفت الدراسة على أهمها: إشكال التضخم المعرفي في المنهاج المعدل، وإشكالية توظيف الكتاب المدرسي، وما يرتبط به من ممارسات الأساتذة في الفصول الدراسية، ثم إشكالية بناء المفاهيم في علاقتها بمفردات المنهاج، وكذلك إشكالية تدريس القيم وتقويمها؛ لتقترح الدراسة بعض الخطوات الإجرائية لتجاوز بعض هذه الإشكالات لعل صانعي القرار التربوي يأخذوا بها في أي تعديل مرتقب تجويدًا لتدريسية مادة التربية الإسلامية، ومن النتائج التي خلص الباحث فيها لما يخص المملكة المغربية أن الإشكال الذي يعاني منه المنهاج التربوي بخصوص إدماج القيم في البرامج والمقررات الدراسية؛ هو غياب النسقية والانسجام بين المواد مما يؤثر بلا شك سلبا على القيم التي تروم كل مادة تمريرها وإكسابها للمتعلمين. كما أننا نلحظ ضعف أو غياب الخيط الناظم للقيم عبر مستويات المنهاج الثلاث؛ في حين نجد بعض النماذج من الأنظمة التربوية العالمية تعتمد قيما مركزية محددة تنبثق عنها مجموعة من القيم تتوزع مختلف المواد الدراسية الحاملة لها.

وإني لأدعو الباحثين والعلماء والأكاديميين المهتمين بعلم النفس الإسلامي إلى المشاركة بالأبحاث المتينة والورقات الأصيلة لإثراء فكرة العلم، بتأصيله وتطبيقاته لما فيه نفع المجتمع الأكاديمي خاصة ثم العالم الإسلامي ثم العالم بحول الله تعالى.

وإني لأشكر هيئة التحرير والقائمين على هذا العمل المبارك شكرًا خاصًا مشفوعًا بالدعاء لهم بالتوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

**رئيس التحرير**

**اسطنبول- تركيا**

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

# إسهام العلماء المسلمين في تدبير الصحة النفسية:

## أبو زيد البلخي (ت 322هـ) أنموذجا

**الدكتور سعيد الشوية[1].**

**saidchaouia1978sss@gmail.com**

**الملخص.**

كانت للحضارة الإسلامية حضور وازن في الساحة العلمية منذ بزوغ فجر الإسلام، وكانت لها إسهامات علمية غنية ومتنوعة، شملت مختلف الفنون والمعارف، ومنها العلوم النفسية. فقد ساهم العلماء المسلمون في إنشاء وتطوير هذه العلوم التي تهتم بالنفس الإنسانية وإنتاج المعارف المتعلقة بها، وكل ذلك في صلة وتفاعل مع أصولهم الدينية، التي جاءت لتحقيق مصالح الإنسان في العاجل والآجل معا. ويعتبر أبو زيد البلخي من فرسان هذا المجال، مجال تدبير الصحة النفسية، ورائدا من رواد الطب النفسي أو مصالح الأنفس كما يسميه رحمة الله عليه، وقد كان مبدعا في هذا المجال؛ إذ جاء بما لم يسبق إليه كما نص على ذلك في مقدمة مقالته "تدبير مصالح الأنفس".

**الكلمات المفتاحية:** تدبير الصحة النفسية، والطب النفسي، وأبو زيد البلخي، ومصالح الأنفس.

---

[1] أستاذ بالمدرسة العليا للأساتذة بمرتيل، التابعة لجامعة عبد الملك السعدي بتطوان.

**Contribution des érudits musulmans à la gestion de la santé mentale:**

**Abu Zaid al-Balkhi comme modèle.**

Dr. Chaouia said[2]

saidchaouia1978sss@gmail.com

**Abstract.**

The Islamic civilization had a significant presence in the scientific arena since the dawn of Islam, and it had rich and diverse scientific contributions, including various arts and knowledge, including psychological sciences. Muslim scholars contributed to the establishment and development of these sciences that are concerned with the human soul and the production of knowledge related to it, all in connection and interaction with their religious origins, which came to achieve the interests of man in both the immediate and the long term. Abu Zaid al-Balkhi is considered one of the knights of mental health management, and a pioneer of psychiatry or the interests of the souls as he called it, may God have mercy on him, and he was creative in this field; as he came up with what had not been done before, as he stated in the introduction to his article "Managing the Interests of the Souls".

**Keywords:** Mental health management, psychiatry, Abu Zaid al-Balkhi, and the interests of the souls.

[2] Professeur à l'Ecole Normale Supérieure de Professeurs de Martil, affiliée à l'Université Abdelmalek Essaadi de Tétouan.

**المقدمة.**

كانت للحضارة الإسلامية حضور وازن في الساحة العلمية منذ بزوغ فجر الإسلام، وإسهامها العلمي واضح على امتداد العصور المتعاقبة، وقد تميزت هذه الحضارة بتنوع تراثها العلمي وغناه؛ فشمل إنتاجها العلمي مختلف الفنون والمعارف، ومنها العلوم الإنسانية، وأخص بالذكر العلوم النفسية. فقد ساهم العلماء المسلمون في إنشاء وتطوير هذه العلوم التي تهتم بالنفس الإنسانية وإنتاج المعارف المتعلقة بها، وكل ذلك في صلة وتفاعل مع أصولهم الدينية، التي جاءت لتحقيق مصالح الإنسان في العاجل والآجل معا.

ولا يخفى على المهتمين بالعلوم الإنسانية عموما والنفسية على وجه الخصوص، ما أسهم به علماء الإسلام في مجال العلوم النفسية، وتراثهم النفسي خير شاهد على ذلك. ومن هؤلاء الأعلام أبو زيد البلخي، الذي يعتبر فارسا من فرسان الطب النفسي، وعارفا بالطب البدني وملما بمباحث علمية أخرى من مختلف الفنون.

وكنت قد تعرفت على البلخي وإبداعاته النفسية منذ سنين، وأشرت إلى بعضها في كتابي "إسهام علم النفس في خدمة مقاصد الشريعة الإسلامية"، وكنت أترقب الفرصة لتجلية الإسهام التاريخي للبلخي في مجال الطب عموما، والطب النفسي على وجه الخصوص، وقد يسر الله تعالى بميلاد هذه المجلة "مجلة بادر" المناسبة للحديث عن بعض إبداعات المسلمين في مجال الصحة النفسية من خلال أبي زيد البلخي وإنتاجاته في هذا المجال.

وخليق بنا في مثل هذه المناسبة الحديث عن إسهامات مثل هؤلاء الأعلام المسلمين في مجال علم النفس، الذي أضحى في زماننا ينسب إلى الغربيين، إلى درجة غابت أو غيبت معها إسهامات الحضارة الإسلامية وأعلامها في هذا المجال، حتى صار من باحثينا عامة ومن أهل التخصص خاصة يعتقد أن علم النفس إنتاج خالص للحضارة الغربية.

وهذه الورقة العلمية تروم الإسهام من جهتها في تجاوز هذا الأمر وإظهار إبداعات المسلمين في مجال العلوم النفسية، ونشرها بين صفوف الطلبة وعامة الناس، وذلك من خلال الإجابة عن إشكال يتمثل في جملة من الأسئلة، منها: ما مكانة تكامل العلوم في الحضارة الإسلامية؟ وما منزلة العلوم النفسية في إطار هذا التكامل على مستوى التحصيل والإنتاج؟ وما إبداعات أبي زيد البلخي في مجال الصحة النفسية؟ وأين تتجلى عبقريته في آليات العلاج النفسي؟

وقصد تناول هذا الإشكال، اقتضت مني الضوابط المنهجية إعمال جملة من المناهج، على رأسها المنهج الوصفي والتحليلي باعتبارهما منهجين رئيسين، بالإضافة إلى مناهج أخرى مكملة وثانوية، وذلك من خلال خطة جاءت في مقدمة وثلاثة مطالب وستة فروع وخاتمة.

**المطلب الأول: تكامل العلوم في الحضارة الإسلامية واهتمامها بالعلوم النفسية.**

**الفرع الأول: دعوة الإسلام إلى تكامل العلوم، ومكانته عند المسلمين.**

شاءت حكمة الله تعالى أن خلق الخلق لعبادته وخلافته وعمارة أرضه، وتدبير شؤونها، وتحقيق مصالحه عليها، ولم يخلقه عبثا يأكل ويشرب كما تأكل الأنعام، وكرمه بالفطرة والعقل، وأرشده إلى إعماله بدعوته إلى التفكر في كتابه والتأمل في مخلوقاته، أي: النظر إلى الكون وما فيه، وإلى النفس الإنسانية وما هي، ومم تكونت؟ لأن استخدام العقل هو الطريق الأساس إلى العلم بالآيات والسنن الكونية التي أودعها الخالق في نفس مخلوقه وفيما يحيط به، وبه يدرك الإنسان حقائق الأشياء، ودلالاتها على عظمة الله وقدرته، وبه يعرف خالقه حق المعرفة، ويفرّق بين الصالح والطالح، وبين الحق والباطل. وهذه الدعوة إلى التفكر وإعمال العقل هي دعوة إلى التعرف على علوم الوحي وفهمها، وكذا التعرف علوم الكون ودراستها، أي دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية والطبيعية... واكتشاف سننها وتحصيلها؛ قصد استثمارها وتوظيفها في ما يعود على الإنسان بالخير، وذلك بجلب المنافع له ودرء المفاسد عنه.

قال عز وجل: ﴿[illegible]﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿[illegible]﴾[4]؛ وقال كذلك: ﴿[illegible]﴾[5]، وقال تعالى: ﴿[illegible]

---

[3] سورة ص، الآية: 28.

[4] سورة الذاريات، الآية: 21.

[5] سورة الروم، الآية: 7.

[illegible]﴿[6]، وقال جل جلاله: ﴾[illegible]﴿[7]. فهذه النصوص الشرعية وغيرها تستدعي العقول للتدبر في كتاب الله، وللنظر والتبصر والاعتبار والتفكر في هذا الكون الرحب وما به من موجودات بديعة ومخلوقات فريدة؛ لأنه يشكل كتابا مفتوحا مملوءا بالإشارات وغنيا بالدلائل والأسرار الموجّهة الى عقل الإنسان الواعي المفكر الفطن؛ الذي يصل في النهاية إلى أن هذا العالم لم يخلق عبثا ولا سدى ولا باطلا، بل خلق لغاية وحكمة.

وواضح من هذه النصوص الشرعية وغيرها أن الدين الإسلامي لم يقتصر على توجيه الناس إلى النظر في كتاب الله وسنة رسوله فقط، بل أرشدهم كذلك إلى النظر في نفوسهم وفيما يحيط بهم من مخلوقات؛ لوجود التكامل بين النظرين، أي: النظر في الوحي والنظر في الكون وإعمال الفكر في مكنوناته، وكلا النظرين نظر في كتاب الله، أحدهما مسطور والآخر منظور. واستجابة لهذا التوجيه الرباني ظهر في عصور الإسلام الأولى رجال موسوعيون حقا، جمعوا بين علوم الوحي وعلوم الكون، فتميَّزوا بالشمولية في الفكر والغزارة في الإنتاج.

ولقد كان لإيمان المسلمين بالتكامل المعرفي في التحصيل العلمي ودوره في بناء الذات الحضارية والتحصين الحضاري منذ العصور الأولى لتأسيس المعرفة الإسلامية دورا مهما في تكوين الشخصية المتكاملة والعقل الموسوعي الشامل لشتى المعارف، فحفظ لنا التاريخ نماذج للتكامل المعرفي عند علماء المسلمين نذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر: أبو بكر الرازي (ت 311هـ)، وابن سينا (ت 427هـ)، وابن الهيثم (ت 430هـ)، وابن رشد الحفيد (ت 595هـ)، ولسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ) وابن خلدون (ت 808هـ).

---

[6] سورة الجاثية، الآيات: 2 – 3 – 4.

[7] سورة آل عمران، الآيتان: 190 – 191.

فالمطلع على سير هؤلاء العلماء وغيرهم ممن سار على نهجهم يجد أن شخصيتهم العلمية تشكل مثالا يحتذى به في التكامل المعرفي، لقد كانوا حقا علماء موسوعيين، شأنهم في ذلك شأن كثير من علماء عصرهم والعصور السابقة لهم أو اللاحقة بهم، وكيف لا يكونون كذلك وقد كان التكامل المعرفي ثقافة سائدة ومنتشرة وأمرا مسلما به في زمانهم.

فهؤلاء العلماء ومن سار على نهجهم يجسدون التكامل المعرفي الذي كان سائدا في العصور الأولى، عصور نشأة العلوم الإسلامية وبداية عصر التدوين، التي كان فيها العالم موسوعيا مطلعا على معارف متعددة وفي مجالات مختلفة من علوم الوحي وعلوم الكون. وكان هذا التكامل منصوصا عليه في مناهجهم التعليمية، وهذا ما يستشف من كلام محمد بن سحنون (ت 256هـ) في كتابه "آداب المعلمين"، حين أشار إلى جملة من المعارف والعلوم التي ينبغي للمعلم أن يعلمها متعلميه، كإعراب القرآن والحساب والشعر والغريب والعربية والخط والنحو[8]... وقد نص على هذا التكامل المعرفي على مستوى التحصيل العلمي أبو حامد الغزالي صراحة حين ذكره وظائف المتعلم، حيث قال: «الوظيفة الخامسة أن لا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودة ولا نوعاً من أنواعه إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه، وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض»[9].

**الفرع الثاني: مكانة الدراسات النفسية في إطار التكامل المعرفي عند المسلمين تحصيلا و إنتاجا.**

أكيد أن التكامل المعرفي في التحصيل العلمي عند علماء المسلمين المتقدمين شمل حتى العلوم التي تهتم بدراسة نفسية الإنسان وسلوكه الداخلي، إذ هناك أمارات تدل على اطلاعهم على كتابات فلاسفة اليونان ودراساتهم حول النفس الإنسانية، والناظر في تعريف النفس عند ابن سينا وأرسطوطاليس (ت 322 ق. م) سيتضح له على أن ابن سينا اطلع على كتابات أرسطوطاليس حول النفس الإنسانية، حيث نجده - ابن سينا - يعرف النفس بقوله: «النفس التي نحن في تحديدها – وهي أرضية – كمال لنوع من الأجسام الطبيعية، فتعين على ما يصدر عنه من الفعل الذي صدوره عنه بآلات فيه، فتكون النفس كمالا أولا لجسم طبيعي آلي، أو لجسم ذي حياة بالقوة، أي: من شأنه أن يحيا بالنشوء ويبقى بالغذاء؛ وإنما يحيا

---

[8] آداب المعلمين لمحمد بن سحنون، ص: 102 – 103.

[9] - إحياء علوم الدين للغزالي: 51/1.

بإحساس وتحريك هما في قوته»[10]. ويعرفها أرسطو بأنها: «كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة»[11]. وجزء من هذا التعريف، أي "كمال أول لجسم طبيعي آلي" وارد في تعريف ابن سينا.

وقد كان من نتائج هذا التحصيل العلمي الموسوعي التكاملي عند المتقدمين أن جعل منهم شخصيات عبقرية متميزة بموسوعيتها المتعددة المعارف والعلوم، استطاعت تحقيق التكامل المعرفي على مستوى الإنتاج العلمي؛ فألفوا في علوم شتى ومعارف متعددة، منها ما يتعلق بالدراسات النفسية، فنجد منهم من أفرد مؤلفات خاصة بدراسة النفس الإنسانية وأحوالها، ككتاب الطب الروحاني لأبي بكر الرازي[12] وهو كتاب في طب النفوس، وكتاب أحوال النفس لابن سينا، بالإضافة إلى ثلاث رسائل في النفس له، الرسالة الأولى في القوى النفسانية، والرسالة الثانية في معرفة النفس الناطقة وأحوالها، والرسالة الثالثة في الكلام على النفس الناطقة[13]، وكتاب الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم الظاهري الأندلسي[14]، وكتاب معارج القدس في مدارج معرفة النفس للإمام الغزالي[15]، وشرح ابن رشد الكبير لكتاب النفس لأرسطو. ومنهم من خصص جزءا من كتاب للحديث عن النفس ودراسة أحوالها، ككتاب ثمرة الحكمة لابن الهيثم، الذي استهله بالحديث عن قوى النفسانية الثلاثة التي يعتبر البدن آلة لها، وهي: القوة الشهوانية، والقوة الغضبية، والقوة الناطقة[16]. وقد سار ابن الهيثم في تقسيم القوى النفسانية على منهج أفلاطون (ت 347 ق. م)، الذي قسمها إلى القوة الشهوانية وفضيلتها العفة، والقوة الغضبية وفضيلتها الشجاعة، والقوة العاقلة وفضيلتها الحكمة[17]. وهذا يؤكد ما أشرت إليه سلفا من اطلاع علماء المسلمين على التراث العلمي النفسي لفلاسفة اليونان، ويؤكد كذلك على اطلاعهم على الدراسات النفسية في إطار التكامل المعرفي على مستوى التحصيل والإنتاج العلمي.

**المطلب الثاني: التعريف بأبي زيد وبمشروعه العلمي في مجال الطب عموما.**

---

[10] أحوال النفس لابن سينا، ص: 56.

[11] النفس لأرسطو طاليس، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، ص: 42 – 43.

[12] كتاب الطب الروحاني، كتاب مطبوع ومحقق، حققه عبد اللطيف العبد.

[13] ينظر هذه الرسالة الثلاثة في آخر كتاب أحوال النفس لابن سينا، حيث ذيل بها المحقق هذا الكتاب، ص: 145 – 179 – 193.

[14] كتاب مطبوع ومحقق أكثر من تحقيق، طبعته دار ابن حزم وكذا دار ابن الجوزي.

[15] كتاب مطبوع ضمن منشورات دار الآفاق الجديدة ببيروت.

[16] ثمرة الحكمة لابن الهيثم، ص: 282.

[17] جمهورية أفلاطون، ص: 35.

**الفرع الأول: التعريف بأبي زيد البلخي.**

أبو زيد أحمد بن سهل البلخي، ولد بنواحي مدينة بلخ بقرية تدعى شامستيان من رستاق نهر غربنكي[18] سنة 236هـ، وتوفي سنة 322هـ، وكان من كبار علماء عصره، ألف ما يقارب ستين كتابا[19]، لم يصلنا منها إلا القليل، ووصفه ابن النديم (ت 438 هـ) بقوله: «وكان فاضلا في سائر العلوم القديمة والحديثة تلا في تصنيفاته وتأليفاته طريقة الفلاسفة إلا أنه بأهل الأدب أشبه وإليهم أقرب»[20]. وهو الوصف نفسه الذي وصفه به ياقوت الحموي (ت 626 هـ) حين قال: «كان فاضلا قائما بجميع العلوم القديمة والحديثة، يسلك في مصنفاته طريقة الفلاسفة، إلا أنه بأهل الأدب أشبه، وكان معلما للصبيان ثم رفعه العلم إلى مرتبة علية»[21].

وقد كان أبو زيد البلخي موسوعيا، وتراثه العلمي خير شاهد على ذلك، فقد ألف في علوم وفنون شتى، والناظر في عناوين مؤلفاته يقف على هذه الحقيقة، فقد ألف رحمة الله عليه في أصول الدين (كتاب عصمة الأنبياء عليهم السلام، وأسماء الله عز وجل وصفاته)، وفي الفقه (كتاب المختصر في الفقه)، وفي علوم القرآن والتفسير (كتاب نظم القرآن، وكتاب ما غاب من غريب القرآن، وكتاب تفسير الفاتحة والحروف المقطعة في أوائل السور)، وفي الطب وعلم النفس (كتاب مصالح الأبدان والأنفس)، وألف في علم الجغرافيا (كتاب صور الأقاليم)، وهو «أول مؤلف إسلامي في الجغرافية الإقليمية التي قسمت العالم الإسلامي إلى عشرين

---

[18] معجم الأدباء لياقوت الحموي: 275/1.

[19] من كتب أبي زيد البلخي: 1) كتاب شرائع الأديان، 2) كتاب أقسام المعلوم، 3) كتاب اختيارات السير، 4) كتاب كمال الدين، 5) كتاب السياسة الكبير، 6) كتاب السياسة الصغير، 7) كتاب فضل صناعة الكتابة، 9) كتاب مصالح الابدان والانفس، 10) كتاب أسماء الله عز وجل وصفاته، 11) كتاب صناعة الشعر، 12) كتاب فضيلة علم الاخبار، 13) كتاب الأسماء والكنى والألقاب، 14) كتاب أسامي الأشياء، 15) كتاب النحو والتصريف، 16) كتاب الصورة والمصور، 17) كتاب رسالته في حدود الفلسفة، 18) كتاب ما يصح من أحكام النجوم، 19) كتاب الرد على عبدة الأصنام، 20) كتاب فضيلة علوم الرياضيات، 21) كتاب في إنشاء علوم الفلسفة، 22) كتاب القرابين والذبائح، 23) كتاب عصم الأنبياء عليهم السلام، 24) كتاب نظم القرآن، 25) كتاب قوارع القرآن، 26) كتاب العتاك والنساك، 27) كتاب جمع فيه ما غاب عنه من غريب القرآن، 28) كتاب في أن سورة الحمد تنوب عن جميع القرآن، 29) كتاب أجوبة أبي القاسم الكنعي الكعبي، 30) كتاب النوادر في فنون شتى، 31) كتاب أجوبة أهل فارس، 32) كتاب تفسير صور، 33) كتاب السماء والعالم لأبي جعفر الخازن، 34) كتاب أجوبة أبي علي بن أبي بكر بن المظفر المعروف بن محتاج، 35) كتاب أجوبة أبي القاسم المؤدب، 36) كتاب المصادر، 37) كتاب أجوبة مسائل أبي الفضل السكري، 38) كتاب الشطرنج، 39) كتاب فضائل مكة على سائر البقاع، 40) كتاب جواب رسالة أبي علي بن المنير الزيادي، 41) كتاب منية الكتاب، 42) كتاب البحث عن التأويلات، 43) كتاب الرسالة السالفة إلى العاتب عليه، 44) كتاب رسالته في مدح الوراقة، 45) كتاب وصية... الفهرست لابن النديم، ص: 170 – 171.

[20] الفهرست لابن النديم، ص: 170.

[21] معجم الأدباء لياقوت الحموي: 274/1.

إقليما»[22]، وألف في الفلسفة (كتاب رسالة في حدود الفلسفة)، وفي الرياضيات (كتاب فضيلة علوم الرياضيات)، وفي التاريخ (كتاب أخبار النبيين)، وفي الأخلاق (كتاب الأخلاق، وكتاب أخلاق الأمم)، وألف في النحو (كتاب النحو والصرف)، وفي الشعر (كتاب صناعة الشعر)، وفي علم التنجيم (كتاب ما يصح من أحكام النجوم)، وألف في السياسة الشرعية (كتاب أدب السلطان والرعية)... ولعل موسوعيته هذه كانت سببا في إبداعاته في مجالات شتى، منها مجال تدبير الصحة النفسية وغيرها، حتى قال بعض أهل الأدب: «اتفق أهل صناعة الكلام أن متكلمي العالم ثلاثة الجاحظ وعلي بن عبيدة اللطفي وأبو زيد البلخي، فمنهم من يزيد لفظه على معناه وهو الجاحظ، ومنهم من يزيد معناه على لفظه وهو علي بن عبيدة، ومنهم من توافق لفظه ومعناه وهو أبو زيد»[23]. وقال أبو حيان: «أبو زيد البلخيّ يقال له بالعراق: جاحظ خراسان»[24].

**الفرع الثاني: التعريف بمشروع أبي زيد البلخي العلمي في مجال الطب عموما والطب النفسي خصوصا.**

يعتبر أبو زيد البلخي رائدا من رواد الطب النفسي أو مصالح الأنفس كما يسميه رحمة الله عليه، وقد كان مبدعا في هذا المجال وجاء بما لم يسبق إليه كما نص على ذلك في مقدمة مقالة تدبير مصالح الأنفس بقوله: «على أن الكلام في هذا الباب أمر لم تجر عادة الأطباء بذكره وإيقاعه في الكتب التي كانوا يؤلفونها في الطب ومصالح الأبدان ومعالجات العلل العارضة لها»[25]؛ ويرجع رحمة الله عليه سبب ذلك إلى كون تدبير مصالح الأنفس ليس من جنس صناعتهم، ومعالجات الأمراض النفسانية ليست من جنس ما يتعاطونه من العلاجات كالفصد وسقي الأدوية وما أشبهها من وجوه المعالجات[26]. وقد أكد رحمة الله عليه سبقه في هذا المجال في مناسبة أخرى بقوله: «فأما هذا النوع الذي هو تدبير مصالح الأنفس، فلا نعلم أحدا قال فيه قولا مشروحا وافيا بقدر الحاجة، فنحن نتكلم فيه بما تبلغه المعرفة، وبالله التوفيق»[27].

---

[22] مخطوط صور الأقاليم لأبي زيد البلخي: دراسة في المحتوى والمنهج للدكتور محمد حسن سهيل الدليمي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد 48، الخاص بالمؤتمر العلمي الدولي الافتراضي الأول، أيلول 2020م، ص: 148.

[23] معجم الأدباء لياقوت الحموي: 279/1.

[24] معجم الأدباء لياقوت الحموي: 279/1.

[25] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق الدكتور محمود مصري، ص: 508.

[26] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق الدكتور محمود مصري، ص: 508.

[27] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق الدكتور محمود مصري، ص: 509.

ومشروع أبي زيد البلخي في مجال الطب النفسي أو تدبير مصالح الأنفس مضمن في كتبه، والتي وصلنا منها في هذا المجال هو كتاب "مصالح الأبدان والأنفس"، وهو عبارة عن كتاب قسمه رحمة الله عليه إلى مقالتين كما نص على ذلك في مقدمته: إحداهما في تدبير مصالح الأبدان، والأخرى في تدبير مصالح الأنفس[28]. ويبلغ عدد صفحات المقالة الأولى 173 صفحة، بينما يبلغ عدد الثانية 56 صفحة حسب تحقيق الدكتور محمود مصري، والملاحظ أن مقالة تدبير مصالح الأبدان أوسع بكثير من المقالة الأخرى. وهذا الكتاب يعرف كذلك بالمقالتين كما صرح بذلك صلاح الدين خليل الصفدي (ت 764هـ)[29]. وقد حقق الدكتور مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي المقالة الثانية فقط، والمتعلقة بتدبير مصالح الأنفس، وطبعت سنة (1424هـ)، وكانت حجة اقتصارهما على تحقيق هذه المقالة فقط، كون المقالة الأولى طويلة وما جاء فيها قد تجاوز بعضها الزمن، وقد أقرا باستعراض أهم الأفكار الواردة فيها، ووعدا بدراستها دراسة مستفيضة في وقت لاحق وإخراجها للناس[30]. وقد مر على هذا الكلام أزيد من عشرين سنة ولا أدري هل حققت أم لا؟ وإن كان بحثي في هذه المسألة لم يرجع بأي نتيجة. وقد حقق الدكتور محمود مصري الكتاب كاملا بمقالتيه، وطبعت طبعته الأولى سنة 2005م. وأرى أن عزل إحدى المقالتين عن الأخرى خروج عن مراد المؤلف؛ لأنه يرى أن الصحة الجسمية والنفسية تتكاملان وتتشابكان على وفق تشابك البدن بالنفس.

والناظر في المقالتين يجد أن ضمهما في كتاب واحد من مقاصد المؤلف، ورسالة منه إلينا ينبهنا من خلالها إلى أن صحة الإنسان تتحقق بحصول الصحة البدنية والنفسية معا، وأي خلل في إحداهما يؤثر سلبا في الأخرى؛ نظرا لتشابكهما وتداخلهما، وهذا سيتضح أكثر في المطلب الثالث في سياق الحديث عن إبداعات البلخي رحمة الله عليه في مجال تدبير مصالح الأنفس. وعلى هذا الأساس لم أقتصر الحديث في هذا الفرع على مقالة تدبير مصالح الأنفس فقط، بل قصدت التعريف بالمقالة الأولى كذلك؛ لأن المؤلف في أثناء حديثه في المقالة الثانية كثيرا ما يشير إلى ما ورد في المقالة الأولى، وقد يبني كلامه على ما فيها من معارف حول تدبير مصالح الأبدان؛ ولهذا من أراد التعرف على إنجازات البلخي في مجال تدبير مصالح الأنفس يستحب له البدء بقراءة مقالة تدبير مصالح الأبدان للترابط والتكامل بينهما. وهذا الربط بين ما هو جسدي ونفسي حاضر بقوة في المقالة الثانية وإن كانت خاصة بتدبير مصالح الأنفس، ومن ذلك قوله في ما يجب على المريض: «الواجب عليه أن يوقن بأن الله تبارك وتعالى جعل لكل داء يعرض للأبدان والأنفس دواء، ولكل

---

[28] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق الدكتور محمود مصري، ص: 330.

[29] الوافي بالوفيات للصفدي: 252/6.

[30] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 7 – 8.

ألم يحدث فيهما شفاء، فإذا قوبل الداء بدوائه، لم يخل ذلك من أحد أمرين؛ إما أن يزيله بتمامه جسمانيا كان أو نفسانيا حتى يتخلص منه الإنسان، وإما أن يقلل من مكروهه وغائلته، فيكون ذلك التقليل إزالة لبعضه»[31]، وكذا قوله رحمة الله عليه: «قد قلنا فيما تقدم: إنه كما أن من حكم الأدواء الجسمانية أن تعالج بالأدوية الجسمانية، كذلك من حكم الأدواء النفسانية أن تتداوى بالأشفية النفسانية»[32].

وقبل ذلك نص في مقدمة الكتاب - بعدما ذكر ما خص الله تعالى به الإنسان من قدرة التمييز بين النافع والضار – نص على أن «آلته في اجتلاب المنافع واجتناب المضار نفسه وبدنه، فبصلاحهما يتهيأ له بلوغ الواجب من ذلك عليه، إذ ليس للإنسان سواهما. وهما قسما كونه، وسببا وجوده في هذا العالم. فلذلك يحق على كل عاقل أن يعمل جده واجتهاده فيما يستديم به سلامتهما وصحتهما ويدفع عنهما عوارض الأذى والآفات، وحوادث العلل والأسقام»[33]. وفي مقدمة مقالة تدبير مصالح الأنفس يؤكد هذا الترابط في حديثه عن النفس والبدن بقوله: «إن الإنسان لما كان مركبا من بدن ونفس، صار يوجد له من قبل كل منهما صلاح وفساد، وصحة ومرض وسقم، وأعراض تعرض له في صحتها، فتفسدها عليه»[34]. وكل ما سبق يؤكد الترابط بين المقالتين من جهة، ويبرر الحاجة إلى التعريف بهما معا في هذا الفرع من جهة أخرى.

وتتكون المقالة الأولى المتعقلة بتدبير مصالح الأبدان من أربعة عشر بابا: الباب الأول في الإخبار عن مبلغ الحاجة إلى تعهد الأبدان ومنفعة ذلك، والباب الثاني في وصف أوائل الأشياء وبدء طبيعة الإنسان وخلقته، وسائر الأبواب إلا الأخير خصصها للحديث على عناصر حفظ الصحة، والمتمثلة في تدبير المساكن والمياه والأهوية، وتدبير ما يقي الحر والبرد والأكنان والملابس، وتدبير المطاعم، وتدبير المشارب، وتدبير المشمومات، وتدبير النوم، وتدبير الباه، أي النكاح، وتدبير الاستحمام، وتدبير الحركات الرياضية التي يحتاج إلى استعمالها في حفظ الصحة، وتدبير ما يتبع الحركات الرياضية من غمز البدن ودلكه، وتدبير السماع، وختم هذه المقالة بالباب الرابع عشر في تدبير إعادة الصحة[35].

---

[31] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق الدكتور محمود مصري، ص: 549 – 550.

[32] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق الدكتور محمود مصري، ص: 550.

[33] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق الدكتور محمود مصري، ص: 329.

[34] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق الدكتور محمود مصري، ص: 507.

[35] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق الدكتور محمود مصري، ص: 330 – 331.

أما المقالة الثانية، فقد استهلها أبو زيد البلخي بالباب الأول في الإخبار عن مبلغ الحاجة إلى تدبير مصالح الأنفس[36]، وقد خصص جزءا من هذه المقالة لبيان كيفية وقاية الصحة النفسية من الاضطرابات، وخاصة "الباب الثاني: في تدبير حفظ صحة الأنفس عليها"[37]، وخصص كذلك الجزء الأكبر من هذه المقالة لبيان كيفية إعادة الصحة بعد فقدانها، أي: علاجها، فأفرد الباب الثالث للحديث عن تدبير إعادة صحة النفس إذا فقدت عليها"[38]، وبعد أن ذكر في الباب الرابع أصناف الأعراض النفسانية التي تصيب الإنسان[39]، أردف ذلك بأربعة أبواب خصص كل باب لكيفية علاج كل اضطراب من أصناف الاضطرابات الأربعة السالفة الذكر؛ فجعل "الباب الخامس: في تدبير صرف الغضب وقمعه"[40]، و"الباب السادس: في تدبير تسكين الخوف والفزع"[41]، و"الباب السابع: في تدبير دفع الحزن والجزع"[42]، و"الباب الثامن: في الاحتيال لدفع وسواس الصدر وأحاديث النفس"[43].

**المطلب الثالث: عبقرية أبي زيد البلخي في المجال الطب النفسي.**

**الفرع الأول: شهادة الخبراء وأهل الاختصاص على إبداع وعبقرية أبي زيد البلخي في الطب النفسي، وبعض مجالات تفرده في ذلك.**

سمى أستاذ علم النفس السوداني ومؤسس علم النفس الإسلامي الحديث الدكتور مالك بدري (ت 2021م)[44] أبا زيد البلخي بالنفساني الذي سبق عصره بأكثر من عشرة قرون، نظرا لريادته في موضوع تدبير مصالح الأنفس بكتابه "مصالح الأبدان والأنفس"؛ لأن المتخصص في الطب النفسي وعلم النفس السريري الحديثين - كما يقول الدكتور بدري - لا يكاد يصدق عينيه، وهي تتنقل بين صفحات هذا الكتاب المدهش،

---

[36] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 114.

[37] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 118.

[38] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 122.

[39] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 125.

[40] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 129.

[41] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 135.

[42] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 141.

[43] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 146.

[44] الدكتور مالك بدري: مؤسس الجمعية النفسية السودانية، ورئيس الأول للرابطة العالمية لعلماء النفس المسلمين سنة 1997م، مؤسس الرابطة الدولية لعلم النفس الإسلامي سنة 2017م. وله عدة مؤلفات في علم النفس، منها: أزمة علماء النفس المسلمين، وحكمة الإسلام في تحريم الخمر: دراسة نفسية اجتماعية، والجوانب العاطفية في حياة الأنبياء: كشف وتأملات نفسية، والتفكير من المشاهدة إلى الشهود دراسة نفسية، وسيكولوجية رسوم الأطفال: اختبارات رسم الإنسان وتطبيقاتها على أطفال البلاد العربية.

الذي يضم بين دفتيه أحدث ما توصل إليه علم النفس العلاجي المعاصر. ويضيف الدكتور بدري أنه لن يشك قارئ لفهرست هذا الكتاب على أنه لكتاب حديث في الصحة النفسية والعلاج النفسي، كما يؤكد على أن النفسانيين المسلمين لو قرأوا كتاب البلخي هذا بتدبر لكانوا هم الرواد للعلاج النفسي وللثورة المعرفية الحديثة في ميدان العلاج النفسي[45].

ويذكر الدكتور مالك بدري على أن أول ما يدهش القارئ لهذا الكتاب قدرة صاحبه على التفريق بين المرض النفسي أو العصاب والمرض العقلي، ثم تركيزه الشديد على دور العوامل النفسية في الصحة والمرض النفسي والجسمي، وكأنه من متخصصي الطب السيكوسوماتي[46]. كما قد يعجب المتخصص الحديث أكثر عندما يجد البلخي في "الباب الرابع: في ذكر الأعراض النفسانية وتعدادها" يصنف أهم الأمراض النفسية تصنيفا دقيقا تحت أربعة أنواع: الغضب، ثم الخوف والفزع، ثم الحزن والجزع، ثم الوسواس، وهي الأصناف نفسها تقريبا التي يدرسها طلبة علم النفس المرضي وعلم نفس الشواذ في الجامعات المعاصرة، تحت مسمى الاضطرابات العصابية المعروفة باضطراب القلق والعصاب الوسواسي القهري والاكتئاب[47].

وقد لاحظ الدكتور مالك بدري في خصوص الوسائل العلاجية للاضطرابات النفسية عند البلخي أن الطرق التي استخدمها واقترحها لتعديل سلوك المصابين بالاضطرابات النفسية تتشابه بشكل واضح مع أحدث الوسائل المعرفية التي توصل إليها علم النفس العلاجي المعاصر، والمسمى بالعلاج السلوكي - المعرفي[48]، والقائم على مساعدة المريض في استخدام قدراته الطبيعية في حل مشكلاته، وذلك بالتعرف على كيفية تصحيح فكره وتغييره والتخلص من سيطرة الأفكار السلبية واستبدالها بأفكار عقلانية ومشاعر إيجابية متسقة مع الواقع المعاش، فهو علاج قائم أساسا على التفكير والإدراك. وقد لاحظ البلخي أن التفكير الخاطئ وما يتبعه من تصورات منحرفة هو المسؤول الأول عن إصابة الناس بالاضطرابات النفسية، وأن تغيير هذا الفكر هو سبيل علاجهم وتخليصهم من هذه الاضطرابات[49].

---

[45] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 26.

[46] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 27.

[47] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 29 – 30 – 125.

[48] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 32.

[49] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق الدكتور مالك بدري، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 34 – 35 – 124.

واعتبر الدكتور فيصل بن عبد السلام الحفيان[50] كتاب "مصالح الأبدان والأنفس" واحدا من أهم منجزات الحضارة العربية الإسلامية في مجال الطب عامة، ومجال حفظ الصحة البدنية والنفسية خاصة، وأرجع ذلك إلى جملة أمور، منها: أولا: بكورته الزمنية: إذ يعد مؤلفه من رجال القرن الثالث الهجري، ومن ثَمَّ، فالكتاب من المصنفات الأول في بابه، وإن كانت أفكاره قد تجاوزت عصرها بعدة قرون. ثانيا: التخصص العلمي: إذ يعد الكتاب أول كتاب متخصص، يفرد موضوعات حفظ الصحة ويخرجها من عباءة علم الطب بمعناه العام. ثالثا: أولوية الربط بين صحة البدن والنفس: إذ يعد أول كتاب يربط بين الصحة البدنية والنفسية على أساس تشابك النفس بالبدن. رابعا: إخراج بحث الصحة النفسية من عباءة الدراسات الاجتماعية والفلسفية من جهة، وإدخالها في دائرة علم الطب من جهة أخرى[51].

وقد أكد الدكتور محمود مصري[52] على أن أبا زيد البلخي يعد بحق أول من نظر إلى البدن والنفس على أنهما وحدة متكاملة، وينبغي النظر إليها في حفظ الصحة على أنهما شيء واحد. كما يؤكد كذلك على أنه أول من تكلم على الأعراض العضوية نفسية المنشأ. وذكر الدكتور على أن البلخي كشف عن كثير من مفردات علم الصحة التي لا تزال صالحة للتعامل معها في زماننا[53].

**الفرع الثاني: نماذج من إبداعات وعبقرية أبي زيد البلخي في تدبير الصحة النفسية.**

**أولا: الترابط الوثيق بين الصحة الجسمية والصحة النفسية.**

تفطن أبو زيد البلخي في وقت مبكر إلى الترابط الوثيق بين ما هو جسمي ونفسي، وقد تمت الإشارة فيما سبق إلى هذا الترابط، وهذا واضح كذلك من خلال عنوان كتابه "مصالح الأبدان والأنفس"، الذي قصد فيه الربط بين البدن والنفس؛ لارتباط صحة كل منهما بالآخر. وهذا التشابك يتأكد بقوله رحمة الله عليه لما ذكر أن أطباء زمانه لم تجر عادتهم بالقيام بالعلاجات النفسية، قال: «غير أنهم وإن لم يفعلوا ذلك، ولم تجر العادة به منهم، فإن إضافة تدبير مصالح الأنفس إلى مصالح الأبدان أمر صواب، بل هو مما تمس

---

[50] الدكتور فيصل الحفيان: مدير معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة، وخبير بمجمع اللغة العربية بالقاهرة كذلك، ورئيس تحرير مجلة معهد المخطوطات العربية، ورئيس تحرير دورية أخبار التراث العربي...

[51] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق الدكتور محمود مصري، ص: 15 – 16.

[52] الدكتور محمود مصري: طبيب أطفال في مشفى الأطفال بحلب سابقا، من مؤلفاته في مجال الطب وعلم النفس: إسهامات الأطباء العرب والمسلمين في حفظ الصحة، والتراث الطبي النبوي، وحفظ صحة الطفل في التراث الطبي الإسلامي، وحفظ الصحة للطبري: تحقيق ودراسة...

[53] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق الدكتور محمود مصري، ص: 17 – 18.

الحاجة إليه، ويعظم الانتفاع؛ لاشتباك أسباب الأبدان بأسباب الأنفس، فإن الإنسان إنما قوامه بنفسه وبدنه، وليس يتوهم له بقاء إلا باجتماعهما»[54]. ثم مثل لتأثير البدن في النفس والعكس، بما إذا سقم البدن وألم وعرضت له الأعراض المؤذية، فإن ذلك يمنع قوى النفس من أن تفعل أفعالها على وجهها، ويتفرغ معها الإنسان للقيام بما يقلقها ويؤذيها، ويشغله ذلك عن الاستمتاع باللذات البدنية؛ فيكدر ذلك عيشه وينغص عليه حياته، وأكثر من ذلك – كما قال رحمة الله عليه -: «بل ربما أداه تحامل الآلام النفسانية عليه إلى الأمراض البدنية»[55]. نلاحظ كيف أنه رحمة الله عليه انطلق من تأثير الأسقام البدنية في الصحة النفسية بفقدانها القدرة على المعرفة والإدراك والتمتع باللذات البدنية، وختم بتأثير الأمراض النفسية في الصحة البدنية بفقدانها متعة العيش ولذة الحياة، وربما تطور هذا المرض النفسي فأذى إلى أمراض بدنية، وفي هذا إشارة في غاية الأهمية إلى الأمراض النفسجسمية، أي الأمراض السيكوسوماتية.

**ثانيا: الحيل النفسية التي يمكن للإنسان أن يستعين بها للحفاظ على استوائه النفسي من الوساوس وأحاديث النفس ومخاوفها.**

وصف أبو زيد البلخي بعض الحيل التي بها تندفع المخاوف وأحاديث النفس ووساوسها، وقسم هذه الحيل إلى حيل من خارج النفس، وأخرى من داخله، ثم قسم الحيل التي من داخل النفس إلى حيل معدة لوقت الصحة، وحيل أخرى معدة لوقت المرض، ثم ذكر جملة من الفروع لهذه الأقسام. فالحيل التي يستعان بها من خارج النفس لدفع المخاوف وأحاديث النفس والوسواس تتمثل:

**أولا:** في تجنب الوحدة والانفراد؛ لأن من شأن الوحدة أن تهيج على الإنسان الفكر وأحاديث النفس وشرورها؛ لأن قوى نفس الإنسان لا بد أن تعمل عملها إما من خارج، وذلك بلقاء الناس ومخاطبتهم ومفاوضتهم وغير ذلك، وإما من داخل، وذلك بالتفكير في الأمور التي تخطر بباله، وتهجس على ضميره، ولا سيما إذا كانت النفس ذكية رقيقة الطبع، فصاحب هذه الأعراض من مخاوف وأحاديث نفس متى ما رجع إلى ذكرها ذهبت به إلى وساوسه التي تغلب عليه، وصرفها إليها؛ فتضاعف عليه التأذي بها في حال الوحدة

---

[54] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق الدكتور محمود مصري، ص: 508.

[55] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق الدكتور محمود مصري، ص: 509.

والانفراد؛ لأن النفس في هذه الحالة إن لم تشغلها من الخارج بمعاشرة الناس ومخالطتهم والاجتماع بهم شغلتك من الداخل[56].

**ثانيا:** تجنب الفراغ؛ لأنه مثله مثل الوحدة في مضاعفته على صاحب الوسواس التأذي بالتفكير في الأشياء التي تخطر بنفسه وتهيج أحاديث نفسه وشرورها؛ ولهذا لا بد للإنسان من أمر يشتغل به، ويقطع أيامه به؛ لأنه إن لم يكن له شغل من خارج، مالت به نفسه إلى الاشتغال بشيء من داخل وهو التفكير، الذي يرجع بصاحبه إلى الخواطر التي يتأذى بها[57].

**ثالثا:** أن يعد لنفسه من خاصته من يثق بهم لمودتهم له وشفقتهم عليه، فيطلعهم على ما يجده في نفسه؛ ليعرفوه بنصائحهم وتوجيهاتهم وإرشاداتهم بطلان ما تحدثه به نفسه وتخيله إليه من الأفكار الرديئة، فيتمكن بذلك قمع تلك الخواطر التي تخطر بباله[58].

وأما الحيل التي يستعان بها صاحب الوسواس من داخل النفس، فهي أن يعد فِكَرًا يقابل بها تلك الخواطر ويحاجج بها تلك الوساوس، ويبطلها في حالة ما إذا عرضت له. وهذه الفِكَرُ على نوعين: إحداهما فِكَر يُعدها ليذكر نفسه بها وقت صحته وسلامته من العلل والأمراض في جسمه، كأن يفكر في أن كل ما يخطر ببال الإنسان مما يروعه ويخيفه، ويسيء ظنه بنفسه، ولا يعرف له أسبابا توجبه، كالأمراض الصعبة والأوباء والحروب... هو من الوساوس الباطلة بشهادة الناس، ولا يجب لأحد أن يركن إليها، ويمكنها من ضميره، فتنغص عليه حياته وتشغله عما يلزمه التفكير فيه. والأخرى، فِكَرٌ يعدها ليعرضها على نفسه وقت اندفاعه إلى نوع من العلل والأوجاع تعرض له في بدنه، كأن يفكر في أمر الطبيعة وقوتها، وأن الله تعالى لما شاءت حكمته بقاء كل شخص على هذه الأرض المدة المقدرة له، ركب الأنفس في الأبدان بإحكام، وشبك بينهما، فنفس كل حي تألف البدن الذي تحله؛ ولهذا وإن تعرض البدن للكوارث فإنه يبقى متعايشا معها بسبب قوة ألفة الروح للبدن. وأن يفكر بأن الله تعالى لما أراد عمارة الدنيا مدة معينة، جعل أسباب السلامة أغلب من أسباب الهلاك، وكذا حكم من يسلم من المرض بالنسبة لمن يهلك، وهذا مشاهد في أحوال الناس.

---

[56] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 153 – 154.

[57] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 154 – 155.

[58] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 155 – 156.

وأن يفكر بأن من سنة الله تعالى أنه لا يسلم إنسان من مرض يعرض له في بدنه ونفسه، وأن من سنته أن لكل داء دواء يكون عنده الشفاء عادة[59].

**ثالثا: أساليب علاج الحزن وحيل دفعه.**

قبل الحديث عن أسلوب البلخي في علاج الحزن، لا بد من الإشارة إلى إبداعه وبراعته في التفريق بين الحزن والجزع والخوف، فعرف الجزع بأنه فرط الحزن وشدته، وشبهه بالنار الملتهبة، في حين شبه الحزن بالجمر الباقي بعد سكون اللهب. ثم بين الفرق بين الحزن والخوف، حيث اعتبر الأول إنما يعرض لفوت محبوب، والثاني إنما يعرض من توقع مكروه، بمعنى أن الحزن متولد من مكروه ماض، بينما الخوف متولد من مكروه مستقبل. وقسم الحزن إلى نوعين: الأول: حزن معروف السبب، كالذي يعرض للإنسان بسبب فقد محبوب من أهل أو مال. والثاني: حزن مجهول السبب، وهو غمة يجدها الإنسان على قلبه تمنعه من النشاط وإظهار السرور[60].

وقد وصف البلخي حيلا لدفع الحزن المجهول السبب، وذلك إما عن طريق العلاج الجسماني بتصفية الدم وتسخينه وترقيقه باعتماد الأغذية والأدوية. وإما من طريق العلاج النفساني، وذلك بالتلطف لاجتلاب السرور إلى النفس بالمحادثة والمؤانسة، والاستمتاع بما تطيب النفس به، وبما يحرك قوة السرور فيها من السماع الطيب، وأشباه ذلك من المعاني التي تفرح الإنسان وتزيل الغمة عن نفسه. وأما الحزن المعروف السبب، فقد وصف البلخي للاحتيال لصرفه حيلتين: الأولى من الخارج، وتتمثل في وعظ الواعظين، وتذكير المذكرين. والثانية من الداخل، وتتمثل في أبواب من الفكر يروض بها الإنسان نفسه، ويجعلها سلاحا وعدة لصرف الحزن عن نفسه إذا اعتراه شيء منه[61].

وأسلوب العلاج النفساني الذي اقترحه البلخي للاحتيال لدفع الحزن المجهول السبب، والمتمثل في التلطف لاجتلاب السرور وغيرها من أساليب العلاج المشابهة، يستشف منه وكأن البلخي ينصحنا بتكوين صيدلية نفسية بداخلنا على غرار الصيدلية المنزلية، فإذا كان كل واحد منا له صيدلية منزلية تتضمن بعض الأدوية لتسكين الآلام والأوجاع وتضميد الجروح وسائر الإسعافات الأولية، فإنه من اللازم أن يكون

---

[59] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق الدكتور محمود مصري، ص: 282 – 283، ومصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 156من إلى 165.

[60] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 141 - 142.

[61] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 142 – 143.

كل واحد منا صيدلية نفسية بمخيلته وبذاكرته، يرتب فيها ذكرياته السعيدة ومشاعره الطيبة وأيامه الفاضلة ومنجزاته الجميلة، وإذا ما اعتراه شيء من الحزن والهم والغم بدأ بتذكر تلك الذكريات الجميلة والأيام واللحظات السعيدة وعرضها على نفسه واحدة تلو الأخرى؛ وهذا مما يستعان به للتخفيف من هذه الأحزان ودفعها. ولعل مثل مضمون هذا الكلام سمعته سنة 2018م من الدكتور مالك بدري في إحدى محاضراته عن أبي زيد البلخي.

**رابعا: التأسيس المبكر للعلاج السلوكي المعرفي.**

واضح مما سبق كيف أن البلخي بين كيفية الاحتيال لدفع المخاوف وأحاديث النفس ووساوسها بالاعتماد على سلوك المريض وتفكيره، أي إدراكه، بمعنى أنه وصف حيلا علاجية تقوم على أساس التفكير والإدراك، وهو ما يسمى في الطب النفسي الحديث بالعلاج المعرفي السلوكي، وهو علاج - كما قال آرون بيك - يتألف: «بمعناه الواسع من كل المقاربات التي من شأنها أن تخفف الكرب النفسي، عن طريق تصحيح المفاهيم الذهنية الخاطئة والإشارات الذاتية المغلوطة»[62]. وفي هذا السياق يقول بول دبويس: «إذا شئنا أن نغير العواطف؛ فمن الضروري قبل كل شيء أن نغير الفكرة التي أنتجتها، وأن نتبين أنها إما فكرة غير صحيحة في ذاتها أو أنها لا تمس شؤوننا ومصالحنا»[63].

فهذا الكلام الذي ورد عن المعاصرين حول العلاج المعرفي السلوكي أو الإدراكي، الذي ظهر في ستينيات القرن الماضي، وعرف انتشارا واسعا في السنوات الأخيرة، حيث أصبح النموذج السائد للعلاج النفسي في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية[64] وغيرها من الدول، هذا الكلام أشار إلى مضمونه أبا زيد البلخي في القرن الثالث هجري في مناسبات عدة، منها ما سبق ذكره في مناسبة وصفه للحيل التي يستعان بها من خارج النفس لدفع المخاوف وأحاديث النفس والوسواس، كقوله: «أن يعد لنفسه من خاصته بمن يثق لمودتهم له وشفقتهم عليه، فيجاربهم ما يجده في نفسه؛ ليعرفوه بطلان ما تحدثه به نفسه وتخيله إليه من الأفكار الرديئة»[65]. وهذا من صميم العلام السلوكي المعرفي، أي العلاج بكلام الغير، حيث يعتمد على تغيير الأفكار والمعتقدات وبيان خطئها وبطلانها. كما يعتمد كثيرا الكلام الذاتي، أي أن يكلم الإنسان نفسه

---

[62] العلاج المعرفي والاضطرابات الانفعالية لآرون بيك، ص: 171.

[63] العلاج المعرفي والاضطرابات الانفعالية لآرون بيك، ص: 171.

[64] العلاج السلوكي المعرفي لفريدا مكمانوس، ص: 11 – 16.

[65] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 155.

بنفسه، ويحاول أن يقنعها بتغيير الأفكار السلبية وتصحيحا والتخلص من سيطرة الأفكار السلبية والخواطر الرديئة واستعاضتها بأفكار إيجابية ومشاعر جميلة، وهذا قد اعتمده كثيرا البلخي، وخاصة في مناسبة وصفه للحيل الداخلية التي يستعين بها الشخص لدفع الوساوس والمخاوف والأحزان والهموم، وهو أسلوب علاجي معرفي داخلي يحاول من خلاله الشخص ترويض نفسه بجملة من الأفكار؛ قصد دفع الحزن والغم والفزع عنه إذا ما اعتراه شيء منها. وكثيرا ما جمع البلخي بين الأسلوبين معا، ويمكن التمثيل لذلك بما وصف للاحتيال لصرف الحزن المعروف السبب بقوله: «إنما يحتال لصرفه بحيلتين: إحداهما من خارج والأخرى من داخل. أما التي من خارج؛ فوعظ الواعظين، وتذكير المذكرين (...) وأما التي من داخل فأبواب من الفكر يروض بها الإنسان نفسه، ويجعلها سلاحا، وعدة لصرف الغم والحزن عن نفسه إذا اعتراه شيء منها لفقد محبوب أو تعزز مطلوب»[66]. فهنا اعتمد البلخي العلاج بالكلام الخارجي عن طريق الواعظين والمذكرين، والعلاج بالكلام الداخلي عن طريف الفكر وتوليد أفكار إيجابية داخلية تذهب عنه ما يعانيه من حزن وغم.

**الخاتمة.**

إن أبا زيد البلخي نموذج من النماذج المشرقة التي أنتجته الحضارة الإسلامية، وقدمته للإنسانية بإبداعاته وعبقرية التي أسهم هذا البحث في الإشارة إليها وإثارتها؛ لعل الباحثين يتلقونها بهمم عالية للاستمرار في دراستها وبيان سبق المسلمين في مجال علم النفس، وإسهامهم العلمي في بناء الحضارة الإنسانية، وإنشاء العلوم الإنسانية والاجتماعية وجملة المعارف في صلة بأصولهم الدينية.

وقد خلصت في نهاية هذا البحث إلى جملة من النتائج، منها:

- أن التكامل المعرفي بين العلوم مبدأ أصيل عند المسلمين، كان من نتائج امتثاله على مستوى التحصيل العلمي القدرة على الإبداع والموسوعية على مستوى الإنتاج العلمي.

- أن أبا زيد البلخي من النماذج المشرقة التي أنتجتهم لنا الحضارة الإسلامية في القرون الأولى.

- أن موسوعية البلخي وسعة اطلاعه العلمي كان من بين أسباب إبداعه في مجال علم النفس.

---

[66] مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، ص: 143.

- أن الناظر في كتاب "مصالح الأبدان والأنفس" وفي علم النفس الحديث، يقر بأن أفكار الكتاب سبقت عصرها.

- أن أبا زيد البلخي كان سباقا لإقرار العديد من القواعد والنظريات في مجال تدبير مصالح الأنفس، منها: ترابط الصحة النفسية بالصحة الجسمية على أساس ترابط البدن بالنفس، والعلاج السلوكي النفسي.

**فهرس المصادر والمراجع.**


1) القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
2) أحوال النفس لابن سينا، تحقيق الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، دار بيبليون، باريس، د. ط، 2007م.
3) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
4) الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم الظاهري الأندلسي، قرأه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه طارب بن عبد الواحد بن علي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية، 1438هـ.
5) آداب المعلمين لمحمد بن سحنون، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتب الشرقية، تونس، د. ط، 1972م.
6) ثمرة الحكمة لابن الهيثم، تحقيق عمار جمعي الطالبي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد: 73، الجزء: 2، د. ت.
7) جمهورية أفلاطون، أميرة حلمي مطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
8) شرح ابن رشد الكبير لكتاب النفس، نقله من اللاتينية إلى العربية إبراهيم الغربي، بيت الحكمة، قرطاج، د. ط، د. ت.
9) الطب الروحاني لأبي بكر الرازي، تحقيق عبد اللطيف العبد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ط، 1978م.
10) العلاج السلوكي المعرفي لفريدا مكمانوس، ترجمة سارة طه علام، مؤسسة هنداوي، د. ط، 2023م.
11) العلاج المعرفي والاضطرابات الانفعالية لآرون بيك، ترجمة عادل مصطفى، د. ط، 2024م.
12) الفهرست لابن النديم، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1417هـ/ 1997م.

13) مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد 48، الخاص بالمؤتمر العلمي الدولي الافتراضي الأول، أيلول 2020م.

14) مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق الدكتور محمود مصري، منظمة الصحة العالمية: المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: معهد المخطوطات العربية، الطبعة الأولى، 1426هـ/ 2005م.

15) مصالح الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي، تحقيق مالك بدري والدكتور مصطفى عشوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، د. ط، 1424هـ.

16) معارج القدس في مدارج معرفة النفس للإمام الغزالي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، 1975م.

17) معجم الأدباء لياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ/ 1993م.

18) النفس لأرسطو طاليس، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، المركز القومي للترجمة، الطبعة الثانية، 2015م.

19) الوافي بالوفيات للصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، د. ط، 1420هـ/ 2000م.

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

# التخطيط في القرآن الكريم
## من خلال سورة يوسف أنموذجا

**الدكتورعدنان مهنديس**[1]

**mhndysdnan@gmail.com**

**الملخص:**

يعالج هذا البحث مصطلح التخطيط في القرآن الكريم بغية وضع المعالم التفسيرية له، وذلك من خلال سورة يوسف، لأنها مليئة بالأحداث التي يصلح أن تكون وعاء لهذا الاشتغال، وقد تم العمل في هذا البحث على تصنيف أنواع التخطيط إلى تربوي، اجتماعي واقتصادي، مع الأخذ بعين الاعتبار توزيع هذه الأصناف إلى نوعين إيجابي وسلبي، والقصد من وراء ذلك كله هو كشف الرؤية القرآنية للتخطيط بما يضيء للإنسان الراشد سبل الحياة في الواقع.

**الكلمات المفتاحية:** تخطيط، قرآن، رؤية، يوسف، واقع.

,

[1] باحث في الدراسات الإسلامية وقضايا التربية والتكوين.

# Planning in the Holy Qur'an
# through Surat Yusuf as an example

**Dr Adnane Mohandis**[2]

**mhndysdnan@gmail.com**

**Abstract:**

This article addresses the concept of planning in the Holy Quran with the aim of establishing its interpretive landmarks, particularly through the story of Joseph, as it is filled with events that serve as a suitable framework for such a task. This research categorizes types of planning into educational, social, and economic, while taking into consideration the distribution of these categories into two types: positive and negative. The purpose behind all of this is to reveal the Quranic perspective on planning, which illuminates the paths of life for the mature individual in reality.

Keywords: Planning, Quran, Vision, Joseph, Reality.

[2] Researcher in Islamic studies and issues of education and training.

**مقدمة البحث:**

بسم الله الرحمان الرحيم

يعتبر التخطيط من المصطلحات التي تتقاطع من حيث الحضور الوظيفي في مجموعة من المجالات الحيوية ذات الارتباط بالنشاط الإنساني، حيث يعزى هذا الحضور إلى كونه يشير إلى محطة منهجية لازمة الحضور تتوخى تحقيق عمل مضبوط من شأنه أن يبصم على مؤشرات النجاح وتحقيق الأهداف المنشودة من خلاله، مع أن هذا النجاح قد يكون نسبيا من حيث زاوية النظر إليه، فما لا يراه زيد نجاحا قد يراه عمرو كذلك، وقد يكون هذا النجاح محمودا باعتبار نوعية الأهداف المتوصل إليها، كما قد يكون نجاحا مذموما باعتبار نوعية الأهداف المحققة أيضا في آخر المطاف.

يحاول هذا المقال تقديم مقاربة بحثية تروم معالجة هذا المصطلح من حيث وجوده في القرآن الكريم من خلال سورة يوسف، وذلك عبر تبني منهج يزاوج بين الرؤية الوصفية والرؤية التحليلية، عبر إجراء سوق الآيات القرآنية المرتبطة بهذا التخطيط من داخل السورة، مع إخضاعها لمنطق التصنيف والدراسة بغية مقاربة موضوعية لهذا التخطيط من خلال السورة التي تمثل أرضية الدراسة.

يكثر تداول مصطلح التخطيط في ميادين عدة، خاصة فيما له علاقة وارتباط وثيق بالإدارة والتسيير، وليس هناك شيء أدل على هذا الأمر من اشتهار وانتشار مسمى ((التخطيط الاستراتيجي))، بل ألفت في ذلك دراسات وبحوث متخصصة منها كتاب ((مهارات التفكير والتخطيط الاستراتيجي)) للدكتور محمد عبد الغني حسن هلال.

لكن هذا المصطلح ليس حكرا في التوظيف والاستعمال على هذا الحقل، بل يتجاوزه إلى الحضور في عدة حقول تنتمي إلى العلوم الشرعية، خاصة القرآن الكريم في مجموعة من مواضعه، وهو ما دفعني إلى أن أحاول مقاربة هذه الإشكالية: ما حجم ورود مصطلح التخطيط في القرآن الكريم سواء من حيث اللفظ أو من حيث المفهوم أو الدلالة؟ وإلى أي حد يمكن الاستناد على ذلك في بناء تصور حول مصطلح التخطيط من شأنه أن يمثل رؤية قرآنية خاصة لهذا المصطلح.

ولتقديم أرضية بحثية تروم مقاربة هذه الإشكالية؛ اخترت سورة يوسف في الاشتغال، ولعل سبب مناسبة سورة يوسف لإثارة موضوع التخطيط من خلالها يرجع لكونه مرتبطا بالأحداث كما أنه قد يكون مرتبطا بالأهداف والمقاصد، فسورة يوسف باشتمالها على قصة من أحسن القصص والتي شغلت حيزا هاما داخلها تضمنت أحداثا كثيرة مترابطة فيما بينها ومنتظمة من حيث السوق ومن حيث الترتيب الزمني لوقوعها،

استحقت أن تكون أرضية للبحث عن مواطن التخطيط بغية تأصيل هذا المصطلح من خلال دراسة هذه المواضع، فأحداثها المقصودة مرجع ثري لمقاربة التخطيط وبحث ماهيته من خلال ذلك.

بعد جمع وتحصيل المادة العلمية اللازمة في الموضوع؛ تبين لي أنه يحسن بهذا المقال أن ينتظم وفق ثلاثة مباحث؛ مبحث أول يقدم إطلالة عن مصطلح التخطيط من اللغة والقرآن والسنة، مبحث ثان يهتم بمعالجة التخطيط في شقه الإيجابي أو ما يصلح أن نسميه بالتخطيط المحمود، ومبحث ثالث يهتم بمعالجة التخطيط في شقه السلبي أو ما يمكن أن نسميه بالتخطيط المذموم.

ولعل الضابط في تصنيف وتقسيم التخطيط إلى قسمين تخطيط إيجابي وتخطيط سلبي يرجع إلى الاعتبار القيمي وأثره؛ سواء ارتبط الأمر بالنوايا أو ارتبط بالفعل البشري من حيث الظاهر.

المبحث الأول: توطئة حول التخطيط في اللغة والقرآن والسنة.

**العنصر الأول: التخطيط في اللغة.**

تطرقت معاجم اللغة لمصطلح التخطيط من خلال الحديث عن دلالات ألفاظه القريبة منه اشتقاقا، وأبرز ذلك: خطَّ -خطة...

فقد جاء في مقاييس اللغة عند ابن فارس: "الْخَاءُ وَالطَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَثَرٌ يَمْتَدُّ امْتِدَادًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْخَطُّ الَّذِي يَخُطُّهُ الْكَاتِبُ، وَمِنْهُ الْخَطُّ الَّذِي يَخُطُّهُ الزَّاجِرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ} [سورة الأحقاف: الآية 4]، قَالُوا: هُوَ الْخَطُّ، وَيرْوَى: " إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ يَخُطُّ فَمَنْ خَطَّ مِثْلَ خَطِّهِ عَلِمَ مِثْلَ عِلْمِهِ "، وَمِنَ الْبَابِ الْخِطَّةُ الْأَرْضِ يَخْتَطُّهَا الْمَرْءُ لِنفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ هُنَاكَ أَثَرٌ مَمْدُودٌ، وَمِنْهُ خَطُّ الْيَمَامَةِ، وَإِلَيْهِ تنْسَبُ الرِّمَاحُ الْخَطِّيَّةُ. وَمِنَ الْبَابِ الْخُطَّةُ، وَهِيَ الْحَالُ؛ وَيقَالُ هُوَ بِخُطَّةِ سَوْءٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَمْرٌ قَدْ خُطَّ لَهُ وَعَلَيْهِ"[3].

فالأثر الممدود يشير إلى إحداث علامة أو بيان معين يخول عملية الامتداد للسير على نهجه أو هداه، كما أن دلالة الأثر في كلام ابن فارس تحلينا أيضا على دلالة الدليل، فوضع الخطة إجراء له وظيفة تتمثل في رسم دليل معين يصلح لأن يتبع ويسلك حتى يسهل الطريق على سالكيه، كما أن وسم الأثر في هذا المقام بالامتداد يدل على أن لهذا لأثر منهجا معينا وكذا مقصدا معينا يرجى الوصول إليه، وإلا لما كان لهذا الأثر معنى.

---

[3] مقاييس اللغة: ابن فارس (395ه)، كتاب الخاء، بَابُ مَا جَاءَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ أَوَّلَهُ خَاءٌ فِي الْمُضَاعَفِ وَالْمُطَابِقِ وَالْأَصَمِّ، ج2/ ص154، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1399ه/1979م.

كما نستشف من خلال ما سبق أن عملية التخطيط تسير في اتجاهين، تخطيط مادي وهو ما يقابل الرسم أو وضع الخط الذي يصلح اتباعه وانتهاجه، وتخطيط معنوي وهو ما يقابل التفكير ووضع التصور الذهني لما يمثل من مراحل وخطوات ترتب عقليا لأخذها بعين الاعتبار في السير المنتظم لبلوغ هدف معين أو من الأجل الوصول إلى أمر ما.

ويستفاد أيضا من كلام ابن فارس أن الخطة التي هي نتاج القيام بعملية التخطيط قد تكون محمودة وقد تكون سيئة أو مذمومة، ولذلك قابل الخطة بالحال، فكما يختط للمرء يصير حاله، ولعل هذا التقسيم هو ما يسعفني في تقسيم المبحثين الآتيين في وجود تخطيط إيجابي وتخطيط سلبي.

وعند ابن منظور في لسان العرب: " والخُطَّةُ، بِالضَّمِّ: شِبْه القِصَّة والأَمْرُ"[4].

أي أنه باستحضار دلالة تتبع الأثر في معاني القصة؛ فالخطة بذلك هي مجموع المراحل المتتابعة والمتلاحقة التي يتعين سلوكها من أجل بلوغ نقطة نهاية معينة، ويؤيد ذلك قوله تعالى في شأن قصة موسى: "وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (سورة القصص: الآية 11).

وهو معنى حسي لازم للمعنى المادي الملموس، فكأنه حينما نرسم خطا فقد حددنا أمرا معينا ينبغي اتباعه من أجل الوصول إلى الهدف المنشود، أو هو أمر لا ينبغي الحياد عنه تجنبا للعبث والتسيب في تدبير شؤون المرء على اختلاف أنواعها.

ولهذا استشهد ابن منظور بما يقوي دلالة الأمر من السنة النبوية فذكر في ذلك:

"وَفِي حَدِيثِ الْحُدَيْبِيَةِ: «وَالَّذِي نفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيتهُمْ إِيَّاهَا»[5]، وَفِي حَدِيثِهَا أَيضاً: إِنه قَدْ عرَض عَلَيْكُمْ خُطَّة رُشْدٍ فَاقْبلُوهَا أَي أَمراً وَاضِحًا فِي الهُدَى والاسْتِقامةِ".

ووجه الارتباط بين فعل الخط ودلالة الأمر أن من اختط لغيره طريقا أو مسلكا فكأنما أمرهم باتباعه، حيث إن مجهوده منزه عن العبث، فهو قاصد للاستجابة والامتثال، ومنه؛ فإن التخطيط قد يكون ذاتيا وقد يكون غيريا، أي قد يخطط الإنسان لنفسه فيرسم بذلك طريقا يتعهد فيه باتباعه لبلوغ الهدف المنشود، وقد يخطط لغيره هذا الطريق؛ خاصة إذا كان المخطط من ذوي رجحان العقل وأصالة الرأي.

**العنصر الثاني: التخطيط في القرآن الكريم.**

---

[4] لسان العرب: ابن منظور(711ه)، باب الطاء، فصل الخاء المعجمة، ج7/ ص289، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414ه.

[5] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه و أيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري (256ه)، كتاب الشروط، باب الشُّرُوط فِي الجِهَاد وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ، رقم: 2731، ج3/ ص193، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422ه.

عن ورود مصطلح التخطيط في القرآن الكريم خارج سورة يوسف؛ فقد ورد في آية الأمية من خلال قوله تعالى: "وَمَا كُنْتَ تتلُو مِنْ قبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ" (سورة العنكبوت: الآية 48). يحيل مصطلح التخطيط في هذه الآية على رسم الطريق كتابة والذي من المفترض اتباعه لاحقا من قبل من يثق فيه أو فيمن رسمه، فالخط هنا يحيل بشكل مباشر على الكتابة، وليس التخطيط المعنوي المرتبط بالعمليات الذهنية التي تروم التفكير في مراحل إنجاز شيء معين قصد إنجاحه، ويمكن أن نقول إن مصطلح التخطيط جاء بحمولته الدلالية دون لفظه في عدة آيات قرآنية من خلال مفاهيم التهيئة والإعداد والإعتاد والإجماع....

وفي هذا نجد من الآيات القرآنية الآتية:

- قوله تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يعْلَمُهُمْ وَمَا تنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ" (سورة الأنفال: الآية 60).

وهي آية تحيل من خلال الأمر بالإعداد على كافة أشكال الاستعداد والتهيئة في شقها المادي لأن سياق الآية في المجال الحربي والعسكري، وفي هذا يقول الطاهر ابن عاشور: "الْإِعْدَادُ التهْيِئَةُ وَالْإِحْضَارُ، وَدَخَلَ فِي مَا اسْتَطَعْتُمْ كُلُّ مَا يَدْخُلُ تَحْتَ قُدْرَةِ النَّاسِ اتِّخَاذُهُ مِنَ الْعُدَّةِ"[6].

**العنصر الثالث: التخطيط في السنة النبوية**

وعن حضور مصطلح التخطيط في السنة النبوية؛ يمكن أن نسجل حضوره لفظيا من خلال حديث الحديبية في العنصر الأول المتعلق بالتخطيط في اللغة؛ والذي أشار إلى لفظ الخطة من خلال استعمالها في السياق الإيجابي من خلال توظيف النبي صلى الله عليه وسلم للمركب الإضافي ((خطة رشد))، كما يمكن أن نسجل حضور مصطلح التخطيط عمليا من خلال مجموعة من المواقف من بينها نهيه صلى الله عليه وسلم في بادئ الأمر من كتابة السنة النبوية مخافة أن يختلط بالقرآن الكريم، ثم إذنه بعد ذلك في هذه الكتابة حينما زال المانع ... وما هذا الإجراء إلا تخطيطا منه صلى الله عليه وسلم في حفظ مصادر التشريع وتنظيم ترتيبها وحفظ حدودها، وليعلم أن لكل مرحلة زمنية واجب وقتها، يقول محمد أبو زهو: "نزل القرآن كما قدمنا لك منجما آية آية وسورة سورة، واتخذ النبي صلى الله عليه وسلم لكتابته أفرادا من الصحابة،

---

[6] التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر ابن عاشور (1393هـ)، ج10/ ص55، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

والقرآن الكريم وإن امتاز عن سائر كلام البشر بجزالة المعنى، وفخامة اللفظ، وحسن السياق، وكما النظم، الأمر الذي أعجز البلغاء عن محاكاته، فخروا لبلاغته ساجدين، فإنه مع ذلك قد يلتبس الأمر على من ليسوا من فرسان البلاغة، إذ يشته عليهم الآية من القرآن بالحديث من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدفعا لهذا الاشتباه، ومنعا للوقوع في خطر التغيير والتبديل، الذي وقع فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى من قبل، منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتابة السنن، وتدوين الأحاديث، حتى يتسع المجال أمام القرآن، ويأخذ مكانه من الحفظ والكتابة معا، وحتى يثبت في صدور الحفاظ، وتألفه أسماعهم، وبذلك يزول خطر الالتباس"[7].

ويمكن أن نصنف هذا التخطيط ضمن المجال التشريعي مع سمته الاحترازية الاحتياطية كما تبين، إلا أنه لما أمن هذا الأمر وزال التخوف، فقد نُسخ النهي إلى جواز الكتابة، مما يؤكد أنه تخطيط نبوي لتحقيق مقصد تشريعي ارتبط بمرحلة زمنية معينة وخاصة.

ومما يستفاد من موضوع النهي عن كتابة السنة مع القرآن أن التخطيط قد يكون بالفعل المتضمن للسلوك القابل للملاحظة والقياس، وقد يكون أيضا بالترك والإمساك عن الفعل، وقد يتضمن التخطيط منهجا يزاوج بين الفعل والترك المرتبطين بالسلوك نفسه أخذا بعين الاعتبار خصوصية الزمن أو خصوصية الفئة المخاطبة بالفعل والترك ولذلك كان من تخطيط سيدنا يعقوب نهيه أبناءه عن الدخول إلى مصر من باب واحد، حيث جاء في قوله تعالى على لسانه: "وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبوَابٍ مُتفَرّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ توَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فلْيَتوَكَّلِ الْمُتوَكِّلُونَ" (سورة يوسف: الآية 67).

أما في السيرة النبوية فوجود مصطلح التخطيط لم يقتصر فقط على الشق النظري، بل تعداه في ذلك إلى الشق التطبيقي، حيث إن السيرة النبوية حافلة في جل مراحلها وحقبها بالتخطيط النبوي من أجل جودة الأعمال والنجاح في تحقيق الأهداف المرجوة من ورائها، ولعلني أستشهد في هذا المقام ببعض ما يدل على التخطيط من خلال أحداث الهجرة النبوية حيث التخطيط في السفر واختيار الطريق المناسب جغرافيا واستراتيجيا، بالإضافة إلى التخطيط في اختيار الشخص المناسب للرفقة بما يتوفر فيه من مواصفات الصدق والوفاء، دون نسيان التخطيط ففي تكليف الشخص المناسب لخلافته صلى الله عليه وسلم في قضاء حوائجه بالمدينة مع غيابه، جاء في كتاب أصول الدعوة وطرقها ما نصه: "والمدقق يجد أن غار ثور

---

[7] الحديث والمحدثون: محمد أبو زهو، ص122، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، بدون طبعة، 1378هـ.

جنوب المدينة، وهذا تورية من الرسول -صلى الله عليه وسلم-على العدو؛ لأنَّ الذي سيطارده سيتوجّه فورًا إلى الشمال نحو مكة، ولا يخطر بباله أن يتوجّه إلى الجنوب حيث غار ثور؛ لأنّه عكس طريق الهجرة تمامًا، إنه التخطيط النبوي العميق، والتنفيذ الدقيق.

وتقتضي الخطة أن يلجأ الرسول-صلى الله عليه وسلم-وصاحبه إلى الغار، يخرجان في اليوم الثالث منه، ويتوجّهان نحو المدينة، ويقوم علي بن أبي طالب بالنوم في فراش الرسول -صلى الله عليه وسلم، ورَدِّ الأمانات إلى أهلها من مشركي مكة، ويقوم عبد الله بن أبي بكر بعد أن يطوف بنوادي قريش، ويسمع منهم عن الرسول -صلى الله عليه وسلم، وما الإجراءات التي سيتخذونها ضده، بتزويد النبي -صلى الله عليه وسلم-بأخبار قريش مساء، بعد أن يقضي طول النهار مع زعمائها وقادتها"[8].

لقد جمع تخطيط النبي صلى الله عليه وسلم في سبيل إنجاح هذه المحطة الهامة والحاسمة بين أمور عدة، ففيها التخطيط الذهني والتفكير في جميع الاحتياطات اللازمة، والأخذ بالأسباب المادية الكفيلة بتحصيل المطلوب، بالإضافة إلى توظيف الأشخاص المناسبين في أخلاقهم ووظائفهم وحدود إمكانات تدخلاتهم، ليلقن النبي صلى الله عليه وسلم الأمة دروسا عظيمة في كيفية التخطيط لإنجاح مشاريعها، دون إغفال التوكل على الله جل وعلا الذي هو أس الإيمان.

ولا شك أن غياب التخطيط في تنفيذ جميع مراحل الحياة هو ضرب من ضروب الفوضى والعبث، وأفعال العقلاء منزهة عن العبث، لأن العبث يهدر الطاقات ويضيع الجهود، بل لا يجني صاحبه إلا المفاسد على نفسه وعلى محيطه، فأهل التخطيط ناجحون في استثمار أنفسهم وفي إفادة غيرهم، يقول محمد موسى الشريف: "الحياة المعاصرة مليئة بالمواقف الحرجة التي يجب أن تواجَه على نحو يساعد على تخطِّيها والتخلص منها، والشخص الذي يعيش حياته بلا تخطيط معرض لتلك المواقف، وينبغي إعداد النفس وتدريبها عليها.

ومثال على تلك المواقف: رجل صالح يدخل المسجد يوم الجمعة وقد غاب الإمام فتتعلق به الأنظار ويرغب إليه أن يؤدي الجمعة، فماذا هو صانع؟ إن أحجم عيب عليه ذلك الإحجام، وإن أقدم على غير استعداد عيب عليه ذلك الإقدام"[9].

---

[8]أصول الدعوة وطرقها 3: مناهج جامعة المدينة العالمية، ص167، المملكة العربية السعودية.

[9]التدريب وأهميته في العمل الإسلامي: محمد موسى الشريف، ص114، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابعة، 1424هـ/ 2003م.

وهذا يدل أيضا على أن عملية التخطيط تتجاوز مرحلة التوقع إلى مرحلة الترقب، بل احتمال حدوث الأخطار وفجأة الطوارئ غير المعتادة مما يحتم وضع الخطة الجاهزة لمواجهتها وترقب كيفية التصرف عند وقوعها، ولذلك نجد هذا الفكر التخطيطي قد حضر بقوة وجد عند فقهائنا من خلال تطرقهم لكيفية تصرف الإمام والمأموم في الصلاة عندما يقع الإمام في حدث، وبيان فقه تصرفه في الاستخلاف والإنابة.

**المبحث الثاني: التخطيط الإيجابي في القرآن الكريم من خلال سورة يوسف.**

**العنصر الأول: التخطيط الإيجابي الاقتصادي.**

- يقول تعالى ذكره: قَالَ تزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (سورة يوسف: الآيتان 47/ 49).
- ويقول تعالى أيضا: " قَالُوا سَنرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ " (سورة يوسف: الآية 61).

يلاحظ من خلال الموضعين أعلاه أن الأول يشير إشارة صريحة إلى البعد الاقتصادي من خلال ذكر الزراعة والسنابل والأكل، في حين أن الموضع الثاني تكاد تخفى إشارته إلى البعد الاقتصادي إلا من خلال التأمل بعمق في دلالة الآية، حيث إن قرار مراودة الأب من خلال أبنائه ليس من فراغ، بل هو نابع من عمق الاحتياج المادي، وهو الأمر الذي سيدفعهم إلى القيام به حقيقة كما ورد في سياق تتمة القصة ضمن سورة يوسف، يقول الشيخ الشعراوي في البعد الاقتصادي للموضع الأول: "وهذه عملية اقتصادية تحتاج إلى تخطيط وتطبيق ومتابعة وحُسْن تدبير وحزم وعِلْم"[10].

إن هذا التخطيط الذي رسمه سيدنا يوسف في الموضع الأول من هذا العنصر تضمن مزيجا متكاملا ومتناسقا من العمليات التفكيرية والذهنية التي تغطي المجال الاقتصادي باعتباره الأزمة المؤرقة حينذاك، وهو تخطيط جمع بين اعتبار العنصر المادي والعنصر البشري بما يضمن حسن الخروج من هذه الأزمة بتوازن واكتفاء دون أضرار، بل بمعالجة حلول الغير أيضا في هذا المجال الاقتصادي الحيوي دون الإضرار بالحاجات الذاتية والأصلية لأهل البلد أو ما يعبر عنه بتحقيق الاكتفاء الذاتي أولا، فكان التخطيط وفق رؤية سيدنا يوسف عليه السلام تخطيطا متوسط المدى وطويل المدى حسب ما يتطلب الأمر من أهداف منشودة.

---

[10] تفسير الشعراوي-الخواطر-: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، ج11/ ص6997، مطابع أخبار اليوم، بدون بلد، 1997م.

يقول الدكتور نواف الحليسي في بيان المنهج التخطيطي الاقتصادي ليوسف عليه السلام ومظاهره الإيجابية الهامة والتي سبقت في تاريخها العلوم الاقتصادية التي ظهرت من بعد:

"-تضمن تخطيط يوسف عليه السلام حين خطط يوسف للسنين السبع العجاف وجود احتياطي من القمح المخزون العام وذلك للعلاقات الإنسانية والتجارية مع الأمم والشعوب المجاورة لمصر والتي كانت تعاني من القحط.

-من أول مراحل الخطة السبعية الثانية كان يوسف عليه السلام يقايض تلك الشعوب والقبائل بالقمح مقابل سلع ومشغولات معدنية ذات قيمة أو عملات نقدية.

-بين يوسف عليه السلام عن العلاقات الإنسانية ومساعدة تلك الشعوب والقبائل من السنين الأخيرة للخطة السبعية الثانية بعد أن ندرت مواردهم ومساعدتهم وتغاضيه عن القيمة الحقيقية للمقايضة بالقمح"[11].

وفي الموضع الثاني يظهر التخطيط من التفكير في كيفية إقناع الأب أو مراودته من أجل قبول السماح للإخوة بالذهاب بالأخ الأصغر حتى يضمنوا كيلهم من الحنطة اتقاء الجوع وتأثير القحط، حيث تضمنت الآية الكريمة ربطا بين حدث آني وهو الوعد وحدث مستقبلي وهو الإقناع، مما يستدعي إيجاد خطة والتفكير في كيفية تحصيل المطلوب بحيلة مقنعة، وهو ما جاء في تفسير الآية من خلال كلام الرازي في تفسيره: "سَنَجْتَهِدُ وَنَحْتَالُ عَلَى أَنْ نَنْزِعَهُ مِنْ يَدِهِ، وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ هَذِهِ الْمُرَاوَدَةَ، وَالْغَرَضُ مِنَ التَّكْرِيرِ/ التَّأْكِيدُ"[12].

**العنصر الثاني: التخطيط الإيجابي الاجتماعي.**

يمكن مقاربة هذا العنصر من خلال الاستدلال على التخطيط الاجتماعي انطلاقا من هذه الآيات الثلاث:

- يقول تعالى ذكره: "وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ" (سورة يوسف: الآية 59).

[11] المنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف عليه السلام: نواف بن صالح الحليسي، ص33، بدون بلد، ط4، 1414هـ/ 1994م.

[12] مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (606هـ)، ج18/ ص478، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1420هـ.

- ويقول أيضا: " فلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ" (سورة يوسف: الآية 70).
- وفي آية أخرى يقول جل وعلا: " اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ" (سورة يوسف: الآية 93).

يتجلى عمق التخطيط الاجتماعي من خلال الآية الأولى في حرص يوسف عليه السلام على جلب أخيه الشقيق إما لكونه غريبا في هذا البلد، أو لكونه خاف على بنيامين من تدبير قد يضر به هو الآخر، وقد جاء في تفسير الشوكاني ما يصلح لاستخراج هذا البعد الاجتماعي حيث قال: "جِئنَا نَمْتَارُ، وَلَنَا أَبٌ شَيْخٌ صِدِّيقٌ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ اسْمُهُ يَعْقُوبُ. قَالَ: كَمْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: عَشَرَةٌ، وَقَدْ كُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ، فَذَهَبَ أَخٌ لَنَا إِلَى الْبَرِّيَّةِ فهَلَكَ، وَكَانَ أَحَبَّنَا إِلَى أَبِينَا، وَقَدْ سَكَنَ بَعْدَهُ إِلَى أَخٍ لَهُ أَصْغَرَ مِنْهُ هُوَ بَاقٍ لَدَيْهِ يَتَسَلَّى بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَئِذٍ: ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ يَعْنِي أَخَاهُ بِنْيَامِينَ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَهُوَ أَخُو يُوسُفَ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَوَعَدُوهُ بِذَلِكَ، فَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَتْرُكُوا أَحَدَهُمْ رَهِينَةً عِنْدَهُ حَتَّى يَأْتُوهُ بِالْأَخِ الَّذِي طَلَبَهُ، فَاقْتَرَعُوا فَأَصَابَتِ الْقُرْعَةُ شَمْعُونَ فَخَلَّفُوهُ عِنْدَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ أَيْ أُتَمِّمُهُ، وَجَاءَ بِصِيغَةِ الِاسْتِقْبَالِ مَعَ كَوْنِهِ قَالَ لَهُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ بَعْدَ تَجْهِيزِهِمْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ عَادَتُهُ الْمُسْتَمِرَّةُ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِمَا يَزِيدُهُمْ وُثُوقًا بِهِ وَتَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ، فَقَالَ: وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ أَيْ: وَالْحَالُ أَنِّي خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ لِمَنْ نَزَلَ بِي كَمَا فَعَلْتُهُ بِكُمْ مِنْ حُسْنِ الضِّيَافَةِ"[13].

فمن خلال هذا الحوار سيشتاق يوسف لجوار أخيه بنيامين لأنه سيخاف عليه مما ذكره الإخوة، وقد علم يوسف من سوابقهم ما يمكنهم أن يلحقوا بالصغير من الأذى والشر، فتتجلى قوة التخطيط في بعده الاجتماعي من خلال حرص يوسف على كل الوسائل والإمكانات لضم وجلب شقيقه بنيامين في أقرب وقت، كما أظهر لهم من سخاوته وطبعه الاجتماعي ما يرغبهم في الاستجابة السريعة له، حيث إن كرم الضيافة من القيم الاجتماعية النبيلة خاصة إذا كانت عادة مستمرة ملازمة في التخلق بها.

أما الآية الثانية في هذا الموضع فاشتمالها على البعد الاجتماعي ضمن التخطيط يكمن في مشهد حدوث السرقة ظاهريا أمر لا يتناسب وما رأوا من جود وحسن معاملة اجتماعية من قبل العزيز (يوسف)، إذ الحسنة لا تقابل في شيم وأعراف العقلاء بسيئة، حيث ذكر الإمام الطبري (310هـ) عن ابن إسحاق قال: "ثم جهزهم بجهازهم، وأكرمهم وأعطاهم وأوفاهم، وحمَّل لهم بعيرًا بعيرًا، وحمل لأخيه بعيرًا باسمه كما حمل لهم. ثم أمر بسقاية الملك= وهو "الصواع"، وزعموا أنها كانت من فضة= فجعلت في رحل أخيه بنيامين.

---

[13] فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني (1250هـ)، ج3/ ص45، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب -دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ.

ثم أمهلهم ... وانتهى إليهم رسوله فقال لهم فيما يذكرون: ألم نكرم ضيافتكم، ونوفّكم كيلكم، ونحسن منزلتكم، ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم، وأدخلناكم علينا في بيوتنا ومنازلنا؟ = أو كما قال لهم قالوا: بلى، وما ذاك؟ قال: سقاية الملك فقدناها، ولا نتَّهم عليها غيركم"[14].

فكأن هذا التخطيط الاجتماعي من يوسف عليه السلام يرسي قاعدة اجتماعية في التعامل مفادها أن من أردت سلمه ومهادنته فبادره بالإحسان والمعاملة الطيبة حتى إذا لم تكسب وده فعلى الأقل أن تأمن شره بذلك.

وإذا انتقلنا إلى الآية الثالثة من هذا العنصر في تجلية حقيقة التخطيط الإيجابي الاجتماعي؛ فإن تحصيل ذلك يكمن في إشارة الآية إلى ريح الابن وكذا جمع الشمل بلقاء الأهل والعشيرة، وقد ورد في التفاسير روايات كثيرة يتوقف عندها من حيث الثبوت في تأويل ريح قميص يوسف مما يبعد الآية عن دلالة البعد الاجتماعي في ذلك، ومن جميل ما ورد في تفسيرها ما ذكره ناصر السعدي: "قال يوسف عليه السلام لإخوته: {اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا} لأن كل داء يداوى بضده، فهذا القميص - لما كان فيه أثر ريح يوسف، الذي أودع قلب أبيه من الحزن والشوق ما الله به عليم - أراد أن يشمه، فترجع إليه روحه، وتتراجع إليه نفسه، ويرجع إليه بصره، ولله في ذلك حكم وأسرار، لا يطلع عليها العباد، وقد اطلع يوسف من ذلك على هذا الأمر،

{وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ} أي: أولادكم وعشيرتكم وتوابعكم كلهم، ليحصل تمام اللقاء، ويزول عنكم نكد المعيشة، وضنك الرزق"[15]، وهذا يدل على أن حل المشاكل الاجتماعية عن طريق حسن التخطيط لها من شأنه أن تحل معه مشاكل أخرى وأن تقضى معه حوائج أخرى، بل قد يصل الأمر في ذلك إلى تحصيل البركة في الرزق بمفهومه الواسع الشامل لجميع أنواع الرزق، خاصة وأن هذا المسلك يندرج ضمن صلة الرحم التي جاء النص بالحث عليها لأنها توسع البركة في الأرزاق، فقد جاء في الحديث عن أَنَس بْن مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَينْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[16].

---

[14] جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر الطبري، ج16/ ص174، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/ 2000م.

[15] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمان بن ناصر السعدي (1376هـ)، ص405، تحقيق: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/ 2000م.

[16] المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (261هـ)، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم: 2557، ج4/ ص1982، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون طبعة ولا سنة.

شرح محمد فؤاد عبد الباقي: (يبسط له في رزقه): بسط الرزق توسيعه وكثرته وقيل البركة فيه.

**المبحث الثاني: التخطيط السلبي في القرآن الكريم من خلال سورة يوسف.**

**العنصر الأول: التخطيط السلوكي التربوي.**

يرتبط هذا الشكل من التخطيط في رؤيته السلوكية في بعدها التربوي القيمي بما صدر من امرأة العزيز سواء في استجابتها لشهوتها أو في محاولة تبرئتها لسلوكها، ويظهر ذلك من خلال آيتين:

- قوله عز وجل: "وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" (سورة يوسف: الآية 23).

يقول أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي (1118هـ): "ويحتمل أن هيت بمعنى تهيأت وهو بمعناه الحقيقي من غير توسع، وهي كاذبة في قولها قصدت إغواءه وخداعه والكذب عليها جائز، وقد قصدت ما هو أعظم منه وغلّقت لأجله سبعة أبواب"[17].

إن شغف حب امرأة العزيز بيوسف جعلها تخطط لبلوغ هدفها بفعل عدة أمور بدءا من تغليق الأبواب بإحكام وهو كاف في الدلالة على دقة التخطيط، وذلك لكونه يرمي إلى الحيلولة دون الوقوع في أية محاولة من محاولات الإفشال، حتى تتحصل بغيتها.

كما أن هيت وهيأت ليست كلمتين مفرغتين من دلالتهما التخطيطية، بل هما مشتملتان على أفعال ومظاهر مسبقة هادفة مخطط لها من قبل قد علم من التجربة تأثيرها في النفس وجاذبيتها نحو الإيقاع في الفاحشة، وهذا ما أكده الشرع الحنيف في النهي عن التزين بمختلف أشكاله الفاتنة والجذابة وتناول العطور التي تؤثر عن بعد وضرب الخلخال في الرجل، لما يفضي ذلك إلى مظاهر الفساد والوقوع في الزنى.

- قوله تعالى: "فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" (سورة يوسف: الآية 31).

حيث يتمظهر التخطيط ضمن هذه الآية في البعد الذهني والتفكيري لامرأة العزيز من خلال خطة تدبيرية محكمة تروم إقناع هؤلاء النسوة بشكل مفحم إقناعا عمليا بدون لجاج ولا كلام، وذلك حتى تظهر أنها معذورة بما أقدمت على فعله، فالمتأمل في حال امرأة العزيز وهي صاحبة السلطة وكلمة الفصل يرى أنه لا

---

[17] غيث النفع في القراءات السبع: علي أبو الحسن الصفاقسي، ص324، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ/ 2004م.

شيء يعجزها إن أرادت أن تقيم ثورة في الدفاع عن نفسها وتحفظ مكانتها وترد الاعتبار لشخصها حتى تحول دون القيل والقال، لكن تخطيطها في هذا الإجراء المتخذ من قبلها أمر مقصود.

ومن خلال كلام المفسرين في معنى (أعتدت) يتضح أن المعنى المادي المتعلق بالعدة وترتيب الأشياء المتخذة قصدا لوصولها إلى غاية التبرير هو الحاضر بقوة، ومن ذلك قول الزجاج في معنى أعتدت: "أفعلت من العَتَادِ، وكل ما اتخَذْتَه عُدةً للشيء فهو عَتَاد"[18]، مع أن هذا التخطيط الذي صدر منها لم يتضمن سواء أو شرا يلحق بهؤلاء النسوة، إلا ان واقع القصة يظهر أن القصد المعنوي المستهدف من كل هذا الجهد هو الأقوى والأحرى في الغاية.

**العنصر الثاني: التخطيط السلبي الاجتماعي.**

- قوله جلّ وعلا: "فلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَاتِ الْجُبِّ وَأَوْحَينَا إِلَيْهِ لَتنبِّئنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (سورة يوسف: الآية 16).

يتجلى التخطيط الاجتماعي في جانبه السلبي من خلال سورة يوسف فيما تصرف به إخوة يوسف معه من أجل الانفراد به، وذلك حتى يتسنى لهم أن يتخلصوا منه وذلك بإبعاده عن أبيه يعقوب حسدا من عند أنفسهم، لأنهم رأوا من أبيهم ميلا زائدا ملحوظا نحوه وتعلقا كبيرا به، ولا شك أنهم ترجموا بذلك سوء نية في معاملة أخيهم رغم ما يعاتب عن والدهم يعقوب في إظهار محبته الزائدة، وقد تجسد هذا التخطيط فيما يلي:

- التشاور في كيفية التخلص منه.
- الاتفاق على كيفية واحدة في تنفيذ خطة التخلص.
- طريقة مواجهة أبيهم واستمالته نحو موافقته على مرافقته لهم.
- الإلحاح الشديد على الأب مقرونا بالإقناع والتعهد يحفظه.

وبالتالي؛ فهذه خطوات مترابطة ومتتابعة سلكها الإخوة في إطار التخطيط لبلوغ هدف معين وهو الظفر بأخيهم يوسف للتخلص منه، إلا أن ما جعلها تصنف في الشق السلبي هما الدافع والهدف، فالدافع إليها

---

[18] معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم أبو إسحاق الزجاج (311هـ)، ج3/ ص105، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ/1988م.

هو الحسد حيث لا يشك أحد في كونه قيمة مذمومة لما جاء فيه من تحذير ووعيد، أما الهدف من هذا النوع من التخطيط فهو إبعاد الأب عن ابنه فهو قطع لصلة الرحم وتمزيق لآصرة الأبوة وما يترتب عنها من تفطر القلب عاطفة على فقد الولد، يقول الإمام الرازي في تفسيره: "لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينا مِنَّا مَحْضُ الْحَسَدِ، وَالْحَسَدُ مِنْ أُمَّهَاتِ الْكَبَائِرِ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ أَقْدَمُوا عَلَى الْكَذِبِ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْحَسَدِ، وَعَلَى تَضْيِيعِ ذَلِكَ الْأَخِ الصَّالِحِ وَإِلْقَائِهِ فِي ذُلِّ الْعُبُودِيَّةِ وَتَبْعِيدِهِ عَنِ الْأَبِ الْمُشْفِقِ، وَأَلْقَوْا أَبَاهُمْ فِي الْحُزْنِ الدَّائِمِ وَالْأَسَفِ الْعَظِيمِ، وَأَقْدَمُوا عَلَى الْكَذِبِ فَمَا بَقِيَتْ خَصْلَةٌ مَذْمُومَةٌ وَلَا طَرِيقَةٌ فِي الشَّرِّ وَالْفَسَادِ إِلَّا وَقَدْ أَتَوْا بِهَا"[19].

والإجماع في الآية هنا هو العزم والاتفاق في الرأي[20]، وهو ما يتطلب نوعا من التهيئة القبلية والجلوس للتفاهم على الرأي الذي سينفذ، وعليه فإن القرار الذي سيفضي إليه الأمر لن يكون ضربا من العشوائية والاعتباط، وإنما هو قرار مبني عن تصميم وتخطيط مسبقين، كما أن كل تعثر أو خلل في النتيجة النهائية لكل قرار يؤدي إلى تقييم العملية المبدئية المتجلية في التخطيط والتهيئة بانها لم تكن مدروسة ولم تتم على أسس متينة مما جعل أمرها يؤول إلى فساد وخسران.

**خاتمة البحث:**

من النتائج التي خلص إليها البحث أذكر ما يلي:

- التخطيط في القرآن الكريم ورد خارج سورة يوسف بلفظه وفي داخل السورة بمفهومه ودلالاته لا بلفظه.
- سورة يوسف أرضية مناسبة لمعالجة التخطيط في مجالاته الحيوية (التربوية، الاجتماعية والاقتصادية).

---

[19] مفاتيح الغيب: أبو عبد الله فخر الدين الرازي (606هـ)، ج18/ ص424، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1420هـ.

[20] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي (542هـ)، ج3/ ص225، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ.

- التخطيط فعل آني ممنهج مرتبط مستقبلا بمصلحة تجلب او مفسدة تدفع في مجال من المجالات الإنسانية.
- نوع التخطيط إيجابا أو سلبا يتحدد من حيث طبيعة المقصد الذي يرجى الوصول إليه.
- التخطيط عمل قيمي قاصد لأنه مصحوب بحضور البعد الأخلاقي.
- التخطيط اجتهاد لأنه فعل يتضمن بذل أقصى الجهود، وعليه، فصاحبه إما مصيب وإما مخطئ بحسب ما يصل إليه.
- التخطيط التربوي والتخطيط الاجتماعي قد يتداخلان في المعالجة، والعبرة بزاوية النظر في تغليب مجال تصنيف نوع التخطيط.

ولعل أهم الآفاق البحثية التي يمكن أن نختم بها هذا المقال هي إمكانية رصد معالم التخطيط النبوي من خلال السيرة خاصة في المغازي نظرا لأنها تعج بكثرة الأحداث المشفوعة بالآثار، فوجب رصد معالم هذا التخطيط للاهتداء به في تخطيط مجموعة من الأصعدة التي تحتاجها الأمة في تطورها الحضاري.

**لائحة المصادروالمراجع:**

-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

-أصول الدعوة وطرقها 3: مناهج جامعة المدينة العالمية، المملكة العربية السعودية، بدون طبعة ولا سنة.

-التدريب وأهميته في العمل الإسلامي: محمد موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابعة، 1424هـ/ 2003م.

-التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر ابن عاشور (1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

-تفسير الشعراوي-الخواطر-: محمد متولي الشعراوي (1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، بدون بلد، 1997م.

-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمان بن ناصر السعدي (1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/ 2000م.

-جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر الطبري (310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/ 2000م.

-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري (256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

-الحديث والمحدثون: محمد أبو زهو، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، بدون طبعة، 1378هـ.

-غيث النفع في القراءات السبع: علي أبو الحسن الصفاقسي، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ/ 2004م.

-فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني (1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب -دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ.

-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي (542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ.

-مفاتيح الغيب: أبو عبد الله فخر الدين الرازي (606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1420هـ.

-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون طبعة ولا سنة.

-معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم أبو إسحاق الزجاج (311هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ/1988م.

-مقاييس اللغة: ابن فارس (395هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1399هـ/1979م.

-المنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف عليه السلام: نواف بن صالح الحليسي، بدون بلد، ط4، 1414هـ/ 1994م.

-لسان العرب: ابن منظور(711هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ.

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

# أثر المحددات النفسية والاجتماعية المعتبرة عند الحجوي في التمييز بين تعليم البنات والبنين -بحث في أهداف التعليم وبرامجه ومحله-

ذ. حمزة شرعي[1]

Hamza.charai5@gmail.com

**الملخص:**

يعد الحجوي أول مدافع عن حق المرأة في التعليم، وذلك في فترة منغلقة كانت فيها النساء محرومات من حقهن في التمدرس، وقد تضمنت كتاباته في هذا السياق إشارات نفسية مهمة لا زال علماء النفس التربوي يؤكدونها بإلحاح، وتتعلق بطبيعة المتعلم والمتعلمة، وإمكاناتهما وحاجاتهما المختلفة. وقد جاءت تلك الإشارات ضمن خصوصيات النظام التعليمي للبنات التي نبه إليها، والتي تعود إلى ثلاثة مستويات رئيسة هي: أهداف التعليم، وبرامجه، ومحله. وقد توسلت بالمنهجين الوصفي والتحليلي لمقاربة البحث من كل جوانبه، بتحديد خصوصيات تعليم البنات عند الحجوي، ومحاولة البحث في خلفياتها النفسية، ومحدداتها الاجتماعية، بالإضافة إلى العمل على تحليل جملة من اختياراته التربوية في هذا الجانب. وقد توصلت إلى جملة من النتائج، لعل من أهمها: أن التعليم في مدارس مختلطة يضيع على البنات فرص كبيرة للتحصيل مقارنة مع الذكور نظرا لاختلاف متغير الجنس وما يستتبع ذلك من اختلاف على مستويات مختلفة: نفسية وعقلية وسلوكية. كما أن التعليم المجدي للبنات -بالنسبة للحجوي- هو الذي يسهم بمخرجات تفيد في تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع. وعلى ضوء تلك النتائج أوصى الباحث الجهات المكلفة بإعداد المناهج التعليمية بأن تأخذ بعين الاعتبار الوظائف الاجتماعية للمرأة أثناء التخطيط للأهداف، دون إغفال ما يتناسب مع طبيعتها الأنثوية، إلى جانب الوعي أثناء تنزيل المناهج بمقومات البنات البيولوجية وخصائصهن النفسية.

**الكلمات المفتاحية: الحجوي الثعالبي - تعليم البنات - الأم - الخصائص النفسية - التعليم المختلط**

---

(1)- أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي، الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين–جهة الشرق-المغرب
- عضو فريق التربية على القيم بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين – جهة الشرق- المغرب

# The impact of psychological and social determinants considered by Al-Hajjawi in distinguishing between girls' and boys' education
## -Research on the objectives of education, its programs and its place-

**Hamza Charai**[2]

**Hamza.charai5@gmail.com**

Abstract:

Al-Hajwi is considered the first defender of women's right to education, during a closed period in which women were deprived of their right to schooling. His writings in this context included important psychological references that educational psychologists still insist on, and related to the nature of the male and female learner, their potential and their different needs. These references came within the specificities of the girls' education system that he drew attention to, which go back to three main levels: the objectives of education, its programs, and its location. I used the descriptive and analytical methods to approach the research from all its aspects, by identifying the specificities of girls' education according to Al-Hajwi, and trying to research its psychological backgrounds and social determinants, in addition to working on analyzing a number of his educational choices in this regard. I reached a number of results, perhaps the most important of which is: that education in mixed schools wastes great opportunities for girls to achieve compared to boys due to the difference in the gender variable and the resulting difference at different levels: psychological, mental and behavioral. According to Al-Hajwi, effective education for girls is one that contributes to outcomes that improve the economic and social conditions of society. In light of these results, the researcher

[2] Member of the Research Team in Values Education: Regional Center for Education and Training Professions - Oriental Region - Morocco

recommended that the authorities responsible for preparing educational curricula take into account the social functions of women when planning goals, without neglecting what is consistent with their feminine nature, in addition to awareness during the implementation of curricula of the biological components and psychological characteristics of girls.

Keywords: AlHajwi Al-Thaalibi - Girls education - Mother - Psychological characteristics - Mixed education

مقدمة:

شكلت قضية تعليم المرأة عنوانا بارزا لفترة منغلقة وسط مجتمع محافظ كانت فيه النساء محرومات من حقّهنّ في التمدرس حضريات وبدويات، لكن الحجوي لم يبال بالوسط المغربي الذي كان وقتئذ ضد القضية، ليتفاعل معها برؤية متنوّرة وبروح مقاصدية صرفة قوبلتا بمعارضة وممانعة شديدتين، مع أنه لا دليل على منع البنات من التعليم وإنما هو التقليد الاجتماعي والعرف الدارج لا أكثر. وبالرغم من أن أفكاره الإصلاحية قد عرفت تعثرا في بدايتها، إلا أنها كانت مقدمات وممهدات ضرورية للجو التنويري الذي سيسود بعدها..

وفي دفاعه عن المرأة وعن حقها في التعليم، تناول جملة من الخصوصيات التي ينبغي مراعاتها في النظام التعليمي الخاص بها، وإلا سيؤول تعليمها -في حدود زمانه على الأقل- إلى الإخفاق والفشل، لأنه لن يكون مبنيا على فهم صحيح لطبيعتها الأنثوية، ومعرفة تامة بخصائصها النفسية ووظائفها الاجتماعية.

لقد تضمنت كتابات الإمام الحجوي التربوية مجموعة من الإشارات النفسية الدقيقة التي تقوم عليها نظريات التعلم الحديثة، وقد عكسناها في مرايا علم النفس التربوي فوجدناها على قدر كبير من التطابق والانسجام؛ فقد أكد على ضرورة الاهتمام بطبيعة المتعلمة، والأخذ بعين الاعتبار الأهداف المرجوة من تعليمها، كما وضع لها برنامجها تعليميا متكاملا يسهم في تحقيق النمو التربوي الشامل لمختلف جوانب التعلم لديها: الوجدانية والمهارية والمعرفية والسلوكية...

ونسعى في هذه الورقة البحثية إلى الوقوف على الخلفيات النفسية التي جعلت الحجوي ينبه إلى خصوصيات تربوية تتعلق بتعليم البنات، مع تأكيده في أكثر من موضع أنهن يشتركن مع الذكور في العديد من الأمور، إلا أن الخصائص النفسية للبنات، ومقوماتهن البيولوجية، إلى جانب وظائفهن الاجتماعية في زمانه، كلها عوامل جعلته لا يتردد في تبني اختيارات تربوية تقوم على التمييز الإيجابي بين البنين والبنات في التعليم، وقد ظهرت لنا تلك الاختيارات على قدر عال من التقدم والحداثة.

وتُحدد إشكالية البحث في السؤال الرئيس الآتي: **ما الخلفيات النفسية والمحددات الاجتماعية المتضمنة في اختيارات الحجوي التربوية، والمفضية إلى التمييز الإيجابي في التعليم بين البنات والبنين في حدود بيئته وزمانه؟**

وللإجابة عن هاته الإشكالية وأسئلتها المتفرعة عنها، وضعت منهجية محكمة واضحة المعالم قصد الإحاطة بموضوع البحث من كل جوانبه، بتقسيمه إلى مبحثين ومقدمة وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

- **المبحث الأول: محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي وأسباب الإصلاح التعليمي عنده**

المطلب الأول: نبذة موجزة عن محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي

المطلب الثاني: أسباب الإصلاح التعليمي عند الحجوي الثعالبي

- **المبحث الأول: مجالات اختلاف التعليم بين البنين والبنات عند الحجوي الثعالبي**

المطلب الأول: أهداف التعليم

المطلب الثاني: برامج التعليم

المطلب الثالث: محل التعليم

**خاتمة**

ولقد توسلت بالمنهج التاريخي وذلك لمناسبته تتبّع الإصلاح التربوي عند الحجوي الثعالبي، في فترة تاريخية مغلقة، كانت فيها الأوساط الشعبية -نخبة وعامة- ضد تعليم المرأة. ثم بالمنهج الوصفي الموصول بالاستقراء والتحليل، للتطرّق خصوصيات تعليم البنات المسلمات، والمعطيات النفسية المعتبرة التي في ضوئها نبه الحجوي إلى ضرورة إعطاء المرأة حقها في التعليم، لكن بكيفية مختلفة عن الذكور تعكس حقيقة أن الحجوي قد أتيح له المجال للإفادة من الدراسات والبحوث التربوية والنفسية التي شملت مختلف جوانب العملية التعليمية التعلمية، وهذا الأمر يؤكده قوله للسلطان: «إن الدروس التي سألقيها بين أيديكم هي خلاصة ما اختاره الفلاسفة العِظام، والعلماء الأعلام الذين عالجوا تربية الأمم ومهروا في علم النفس ودققوا تجارب الأمم»[3]. والله المسؤول بالإتمام وعليه التكلان.

## المبحث الأول: محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي وأسباب الإصلاح التعليمي عنده

(3)- أساس التهذيب الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، تح: الطالب محمد شرنان، بحث لنيل شهادة الماستر في الدراسات الإسلامية، ماستر الاختلاف في العلوم الشرعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، الموسم الجامعي: 2019/2018م، ص: 2.

إن الحديث عن الشيخ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي هو حديث عن عَلم من أعلام الإسلام الذين خلّد تاريخ الفكر أسماءهم بمداد العلم والمعرفة، والتجديد والإضافة، وعفّة القلم، وتحرّي الحق والجرأة في الصدع به، دون تجاوز لحدود النطاق العلمي النّزيه. فهو وإن أتى في زمن المتأخّرين، إلا أنه من طينة المتقدّمين الأفاضل الذين شُهد لهم بصلاح الظاهر في الاجتهاد واستفراغ الوسع، وبصلاح الباطن في حسن النيّة والقصد، فتركوا لنا وللبشرية مكتبة زاخرة، وكنوزا من العلم باهرة، لا يوجد مثلها ولا نصفها ولا معشار عُشرها عند أمّة من الأمم.

والحجوي -رحمه الله- من شيوخ التجديد في عصره، ومن سفراء الإصلاح بمنار القرويين بامتياز، ولا يرتاب في كونه قطب الإصلاح الاجتماعي والتحديث التعليمي؛ حيث أنفق فيهما أخصب سِني عمره الذي جاوز الثمانين، إذ حمل لواء الحركة الإصلاحية في المغرب منذ أوائل القرن العشرين، وذلك من خلال تصوّرات نظرية للإصلاح ضمّنها في كتبه ورسائله، ومشاركة حيوية في الحياة العامّة، كان لها أثرها البالغ في تنامي الوعي بأسباب التأخّر، وكذلك بمسالك النهوض بالأداء الاستخلافي الحضاري، للانطلاق لحاقا بركب التطوّر والتقدّم.

لقد أخذت مسألة الإصلاح عموما، وإصلاح التعليم على وجه الخصوص حيّزا كبيرا من اهتمام شيخنا الحجوي، لاقتناعه أن الحالة التي انتهت إليها الأمة لا خلاص منها إلا بالتعليم، ومن هنا فهو يَعتبر إصلاحه ضرورة حضارية لنهضة البلاد وخروجها من حال الكساد والفساد، ولذلك انتقد تلك الأحوال البئيسة التي كان عليها جامع القرويين؛ فأسلاك التدريس لم تكن محددة بفترة زمنيّة لكل طور من أطوار التعليم بالجامع، على غرار البرامج التعليمية وآليات الانتقال من سنة إلى أخرى، وإنما كانت تقرر في الغالب وفق المصالح الشخصية للشيوخ والطلبة، فدعا إلى ضرورة إخضاع أسلاك التعليم وبرامجه إلى النّظام، بتقدير فترة الدراسة بزمن معيّن، بدل تحديدها بمقررات ومتون، وتقسيمها تقسيما عصريا كما في المؤسسات التعليمية العصرية، مع مراعاة التدرّج في المعارف والأفكار، للحد من هدر الأوقات في رحاب الجامع بلا فائدة.

والحقيقة أن عناصر من جامع القرويين لم يقبلوا بإصلاح جذري للتعليم -خاصة قوانين المجلس التحسيني التي وضعها الحجوي- لأنهم يرون في كل توجّه جديد خروجا عن الدين ومزاحمة للعلوم الإسلامية، فظلوا يعارضون كلّ نفس تجديديّ يروم تنظيم الجهاز التعليمي، لا لشيء إلا تقديسا لتراتيب أسلافهم، واعتقادهم أن ما جاء به الأقدمون هو أعز ما يطلب، وأنجع ما يتبع.

### المطلب الأول: نبذة موجزة عن محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي

توخى مترجَمنا محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي (1376/1291هـ= 1956/1874م)[4] إظهار حقيقةٍ من حياته حينما تنبّه إلى أن الأفكار مُعرِضة عن الاهتمام بترجمة الرجال، فترجم النبيه لنفسه اقتداء -على حد قوله- بالنبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وخشية أن يطوى ذكره لقلّة الاعتناء وعدم التنبيه، يقول: «إني لأشعر بعبء ذلك على كاهلي، ولكنني لا أجد منه بدًّا، فلينتبه إخواننا إلى الاعتناء بتراجم الرجال وإظهارهم مظاهرهم، فالأمة برجالها، والسهام بنصالها، وليترجم الناس لأنفسهم بأنفسهم»[5]. فكم من عالم فاضل صار اسمه بالإهمال مهجورا، كأن لم يكن شيئا مذكورا.

فقد ولد الحجوي بفاس يوم الجمعة في الرابع من رمضان عام 1291هـ الموافق لـ 1874م. وفي بيت عظيم نسبا وشرفا، -في كنف والده ووالدته وجدته للأب- نشأ مترجَمنا نشأته المميّزة على أكمل الصفات الدينية، وأرفع المناهج التربوية، وخير القيم والمبادئ الأخلاقية التي توافرت جميعها في هذه البيئة الأصيلة الراقية العلمية. وقد أشار في ترجمته إلى أن شخصية الفرد إنما هي متوقفة على مرحلة الطفولة، يقول: «هذه هي الحلقة التي تضيع بإهمالها أهم أطوار حياة الرجال (...) لأن حياة الإنسان كلها إنما هي نتيجة ذلك الطور القصير؛ طور الطفولية، ومرآة ينطبع فيه كل حين أثر تربيته الأولى والمدرسة الأولى»[6].

أما مساره العلمي؛ فقد درس على يد والده العقائد السنية، والفقه والتاريخ، والسير والشمائل، كما تلقى القرآن على يد القارئ المتقن والفقيه البارع محمد بن السودي حفيد الشيخ التاودي، ثم على الفقيه

---

(4) يُنتبه في فسحة العمر هاته التي مُكّن منها الحجوي إلى أنه قد عاصر حقبة عصيبة غَدَت فيها الأقطار العربية مستعمرات تابعة للقوى الاستعمارية، كما كان شاهدا على مرحلة مهمة وحرجة من تاريخ المغرب (فترة ما قبل الحماية، ثم معاهدة الحماية، فالاستقلال)، أفرزت أحداثا سياسية فارقة، مثلت منعطفا حاسما في التاريخ المغربي، فكانت له مواقفه البارزة من كل ما يحدث، وكانت له بصماته الخاصة فيها. ثم إن احتكاك المغرب بالدول الاستعمارية والأوروبية التي دعت إليه تطورات الأحداث في القرن العشرين، لم يكن لينفع معه الخطاب الإصلاحي التقليدي، الأمر الذي أحدث يقظة عند الحجوي ألحّت عليه ببذل الجهد واستفراغ الوسع، لفهم العقلية الأوروبية، بالانفتاح على منجزاتها، واكتشاف الأسس التي تقوم عليها، والقيم التي تحتكم إليها، حتى إذا نطق، فلا ينطق عن تطلُّع ثقافيّ، ولا عن رواية بلغته، لكن عن خبرة يراكمها من قرب، من واقع التجربة والمكابدة الشخصية.

(5) **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي، تحقيق: أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1428هـ - 2007م، المجلد الأول (ج: 1و2)، ص: 9./ كما أن كتبا أخرى قد خَصصت ترجمة وافية للإمام محمد بن الحسن الحجوي، ككتاب تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر وآثارهم الفقهية، لعبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1997م، ص: 137، وكتاب الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري، لإبراهيم الوافي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م، ص: 206، وكتاب إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث والرابع عشر، موسوعة أعلام المغرب، لعبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، تنسيق وتحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م، ج:9، ص: 3320. وغيرهما مما كُتب في التعريف بمترجَمنا.

(6) الفكر السامي، م.س، ج:1، ص: 12. مع تصرف طفيف لم يخل بالمضمون.

الزاهد محمد بن الفقيه الورياجلي المقرئ. وفي عام 1307هـ، دخل جامع القرويين لاستكمال تعليمه، فأخذ عن شيوخ كبار. وفي عام 1316هـ وبعد تسعة أعوام من التحصيل، استطاع أن يحجز مقعدا إلى جانب العلماء المدرّسين، فشرع في إلقاء الدروس في رحاب هذا المعهد الشامخ العتيق ولمّا يتجاوز عمره الخامسة والعشرين.

ثم ولج معترك الحياة العامة بمزاولة التجارة ابتداء من عام 1317هـ «في غير أوقات الدروس تدريبا»[7]، ثم مجال الوظائف المخزنية الحكومية ابتداء من السنة الموالية في عام 1318هـ، حيث ألحقه السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن بديوانه، رشحه لذلك نبوغه المبكر، وعيّن عام 1320هـ أمينا على ديوانة وجدة، وفي هاته السنة قبل سفره إلى وظيفه الجديد تزوّج. ثم صار عام 1321هـ مفتشا عاما للجيش ونائبا على وزارتي المالية والحربية في أمور الجند والعتاد، فنائبا عن الملك في الحدود المغربية الجزائرية. إلا أن أمانته وجديته وملَكته النقدية كانت وراء عدم تكيفه واندماجه في دواليب (المخزن)، وتعبيرا عن استيائه قدّم استقالته من مهامه عام 1323هـ بعد أن أدّى المهام الموكلة إليه خير أداء.

وابتداء من عام 1330هـ سمي نائب الصدارة العظمى في وزارة العلوم والمعارف، وهو أول مغربي يتولّى هذا المنصب، ثم استعفي بعدما باشر تنظيم المجلس التحسيني لإصلاح التعليم بالقرويين، فأسقط هذا الوظيف من الوظائف المخزنية مدّة. ثم نصبه السلطان المولى يوسف بعد ذلك مستشارا للحكومة المغربية، اعترافا له بولائه ونباهته وكفاءته السياسية والإدارية. ثم تولّى بعد ذلك مناصب على جانب كبير من الحساسية ومنها تعيينه وزيرا للعدل في حكومة السلطان المغفور له محمد الخامس عام 1363هـ الموافق لـ 1944م.

وفي جانب آخر من حياته العلمية أقول، -ولا أكون مبالغا في قولي إن قلت- بأن المغرب لم يشهد في عهده عالما مؤلفا أوفر منه إنتاجا، وأغزر منه نفعا وفائدة لأمّته ومجتمعه. فلقد تنوعت تواليفه العلمية الغزيرة[8] التي لا يزال أغلبها مخطوطا، بحيث أسهمت في إثراء المكتبة الإسلامية بما دمج من بحوث ودراسات ومحاضرات علمية، وتنقيحات أدبية، وتأصيل شرعي، ورؤى وتوجهات إصلاحية اجتماعية وتربوية، أخذت طابع التجديد بأسلوب رائع معتبر، انعقد على فرادتها وتميّزها الإجماع.

---

(7) نفسه، ص: 14- 15.

(8) ليست كتابات الحجوي -طُرًا- كتبا مطولة مسترسلة، بل جلّها مقالات وتقاييد ومذكرات ومحاضرات ألقاها في عدة مناسبات داخل المملكة المغربية وخارجها في عدة أقطار، أو فتاوى لأسئلة فقهية كانت ترد عليه من مختلف الأمصار، وقد تخطّت مؤلفاته أصداء المغرب فتجاوزت الآفاق، بمادتها الضاربة في الأعماق، بما اتسمت بالتجديد والتفتح. وقد ذكر الحجوي في فهرسته المسماة "مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى"، تسعة وتسعين مؤلَّفا خلّفه، أغلبها مخطوط.

بعد كفاح طويل، وحياة علمية وسياسية وتجارية حافلة بالأحداث الجسام، توفي الحجوي يوم الأحد 3 ربيع الأول عام 1376هـ الموافق لـ 7 أكتوبر 1956م، في أحد مستشفيات العاصمة الرباط، عن سن يناهز خمسة وثمانين ربيعا. «ولم يحضر جنازته أحد بعدما امتنع الحزّابون من القراءة عليه»[9].

**المطلب الثاني: أسباب الإصلاح التعليمي عند الحجوي الثعالبي**

يعدّ الحجوي الثعالبي من أبرز أقطاب النخبة الإصلاحية بالمغرب التي اشتغلت بالإصلاح التعليمي مدخلا لإنهاض الشعب المغربي والسير به قدما، وتوفير مقومات الالتحاق بركب الحضارة، ومجاراة الرقي العلمي الذي تحقّق للأمم المتقدّمة، وفي هذا الشأن يقول: «لا سبيل لأن نصير أمة معدودة من الأمم الحية إلا بتعميم القراءة والكتابة بين الحواضر والبوادي، وتعميم التعليم الابتدائي حتى يصير جل أفرادها رجالا ونساء يقرؤون ويكتبون باللسان العربي الفصيح، بحيث يعرفون مطالعة الكتب البسيطة السهلة يستفيدون منها دينهم ودنياهم، ومطالعة الجرائد، وأخبار ما يقع في العالم. ليستوي الناس في إدراك ما لهم وما عليهم، ويتساوى السوقي والعالم، والوزير والصانع في معرفة ما هو الضار للهيئة الاجتماعية، وما هو نافع لها ليحسّوا جميعا بالألم، ويعرفوا موضعه، ويتطلبوا أدواءه، فينهضوا بأجمعهم لنفعهم ودفع ضرهم ويفهموا ما يلقى إليهم من الخطاب، وما هي عليه حياة غيرهم من الأمم ليجاروها في معترك الحياة»[10].

لقد كان الحجوي الثعالبي من بين أوائل الدعاة للنهوض بالعملية التعليمية في سائر أطوارها ومستوياتها؛ حيث تناول موضوع ترقية التعليم في العديد من كتاباته ومسامراته ومحاضراته داخل المغرب وخارجه، ولم يكتف بإلقاء الخطب لإبراز أهمية التعليم في النهوض بالبلاد والإجابة عن الإشكالات المطروحة، بل وجّه في هذا الشأن كذلك توجيهات ونصائح للسلطان، فخاطبه قائلا: «إن أنفس هدية أقدّمها لقرّة عين مملكتنا المغربية العزيزة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين، وناصر الملّة والدّين، وحامي القرآن المبين، نصائح ثمينة في أصول التربية الإسلامية التي هي مبنى هيكل التهذيب عند المسلمين (...) إن التربية الراقية هي التي تُنتج نهضة عامة صحيحة، والأمم بأخلاقها لا بأعلاقها ولا بأعرافها، فكل شيء في الأمّة ثانوي بالنسبة للتربية»[11].

---

(9) إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، م.س، ج: 9، ص: 3320.

(10)- الفكر السامي، م.س، مج: 2، ص: 455.

(11)- أساس التهذيب الإسلامي، م.س، ص: 2.

وقد أورد في مقدمة محاضرته "إصلاح التعليم العربي" ما ينصّ على عقده العزم على إصلاح التعليم العربي والإسلامي، يقول: «يجب البداءة في نهضة الأمّة المغربية بإصلاح التعليم العربي والرهان على ذلك؛ فمن الواجب على أعلام الأمّة وقادتها أن ينبّهوا أفكارها إلى احتياجها للرقي والنهوض، وهذا علينا من آكد الفروض...»[12]. كما صرّح في "الفكر السامي" بأن إصلاح التعليم بالقرويين كان أول ما استرعى اهتمامه أثناء توظيفه نائب الصدارة العظمى في المعارف والتعليم، يقول: «فكان أمر القرويين أول ما أهمني قلبا وقالبا...»[13].

وبحكم معرفة الحجوي بالميدان التعليمي معرفة الخبير المتمرّس من خلال ما راكمه من تجارب بصفته طالبا، ثم مدرِّسا، فمسؤولا بارزا في الميدان؛ فقد بلور مشروعه التعليمي، وبرّز ملامحه الكبرى فيما نثره من كتب وعرضه من محاضرات، كما بسط الأسباب العامة التي دفعته إلى تصور مشروع جديد للإصلاح التربوي والتعليمي، وتفاعل معها بروح مقاصدية خالصة، وسأحاول الوقوف عليها بإثارة سؤال جوهري يتعلّق بالمقاصد والغايات التي كان يتوخّاها الحجوي من إصلاح التعليم، هذا السؤال الذي يمكن الإجابة عنه انطلاقا من مداخل خمسة:

- **مدخل نهضوي حضاري**؛ بحيث انطلق الحجوي في مشروعه التعليمي الطموح من سؤال محوري، لماذا تأخّر المسلمون وتقدّم غيرهم؟ فكان جوابه أن سبب تقدّم الغرب يرجع إلى العلم والتعليم، وسبب تأخّر المجتمعات العربية والإسلامية يرجع إلى غلبة الجهل والأمية على نسائها ورجالها، يقول: «غير خفي أن علّة العلل في تأخّر الأمّة العربية أو الأمم الإسلامية هو داء الأمية، وكل يعلم مضارها العظمى، وأثرها السيء فينا (...) لذلك أرى أن أول داء نبادر إلى علاجه وحسم مادته هو ذلك الداء العضال المخطر داء الأمية...»[14].

ومع دخول الاستعمار، ظهرت الحاجة أكثر إلى إصلاح التعليم وتطوير مناهجه لإيجاد القدرة على التنافس الحضاري للانعتاق من ربقة الاحتلال؛ ولا يكون ذلك إلا بفتح المدارس ونشر التعليم، وتحديث البرامج وطرائق التدريس، وتعليم العلوم الشرعية والرياضية والطبيعية والتقنية، وذلك في تقدير

(12)- محاضرة في إصلاح التعليم العربي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، تح: إبراهيم بوحولين، دار الأمان، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 2021م، ص: 40.

(13)- الفكر السامي، م.س، مج: 2، ص: 226.

(14)- نقد كتب الدراسة للعلوم العربية بإفريقيا الشمالية، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، تح: حسن أحمد الحجوي، ملحق بكتابه: العقل والنقل في الفكر الإصلاحي المغربي (1757-1912)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2003م، ص: 266.

الحجوي هو الكفيل بإخراج المستعمِر، يقول: «إن الاستقلال لا بد له من رجال قد يمكن إيجادهم بعد عشر سنين، بعد إصلاح التعليم إصلاحا جديا»[15].

ولمّا كانت النهضة هي ثمرة جهود الأفراد لتحسين ظروف حياتهم بحسب منتهى المدنية في وقتهم، فإن ضرورة إصلاح التعليم وترقيته حاجة تدعو إليها الحياة التي هي في تطوّر مستمر، حتى يتم جني تلك الثمرة بالطريقة السهلة الأقلّ كلفة والأكثر جودة، فإن «غيرنا قد اهتدى لاختصار طريق التعليم منذ قرن كامل، فصاروا في الزمن اليسير يحصلون على العلم الكثير، وخصّصوا لدعوة أممهم جرائد ومجلات وكتبا تبحث في كيفية ارتقاء أسلوب التعليم (...) أما نحن فلا زلنا لا نحصّل تعلُّم القراءة والكتابة إلا في مدة طويلة، ولا زلنا ما عرفنا أن الوقت ذهبٌ (...) إذن، تعيّن علينا إذا أردنا النهوض أن نبدأ بالوسيلة قبل المقصود، وهو إصلاح لغتنا وعلومنا، والإصلاح لا يُعرف إلا بمعرفة مواقع الفساد»[16].

- ❖ **مدخل اجتماعي تنموي**؛ لأن التنمية هي نتيجة تنافسٍ مستمر مع الأمم المتقدّمة في الميادين العلمية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية (الفلاحية والصناعية والتجارية والسياحية)، ولا تكون تلك المنافسة -في تقدير الحجوي- إلا بترقية التعليم وتحديثه بما يفضي إلى الاجتهاد والابتكار، وتحصيل أكبر إنتاج محلي، يقول: «فإذا استيقظت [أي الأمّة] من سباتها، وانجلى عنها كابوس الخمول، وتقدّمت في مظاهر حياتها التي أجلُّها العلوم، وظهر فيها فطاحل علماء الدنيا من طبيعيات ورياضيات وفلسفة، وظهر المخترعون والمكتشفون والمبتكرون كالأمم الأوروبية والأمريكية الحية، عند ذلك يتنافس علماء الدّين مع علماء الدنيا فيظهر المجتهدون»[17]، ولذلك يقترح الحجوي المبادرة إلى جعل التعليم خطة تنموية لتطوير المجتمع، وتحقيق الرقي والازدهار في كافة المجالات؛ إذ «بالعلم ارتقت الفلاحة والصناعة والتجارة، وبه وصلت الدول أوج المعالي. بالعلم ينقلب البر بحرا، والتراب تبرا، والبدوي الجافي يتدفق أدبا ونبلا حتى يصير قاضيا وموثقا ومفتيا، ومهندسا وطبيبا، ومسيّر معمل، وهؤلاء الذين حازوا غنى الأرض»[18].

---

(15)- أهم الأخبار عن حرب الثار والاستعمار والمذكرات مما له اعتبار، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، مخطوط المكتبة الوطنية، الرباط، ح 122، ص: 19.

(16)- محاضرة في إصلاح التعليم العربي، م.س، ص: 42 - 44.

(17)- الفكر السامي، م.س، مج: 2، ص: 518 - 519.

(18)- خطب في التربية والتعليم، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، مخطوط المكتبة الوطنية، الرباط، ح 118، ص: 69. وهذا النص مقتبس من خطبة ألقاها على تلاميذ مدرسة أولاد الأعيان بالرباط عام 1342هـ.

اندرج التعليم لدى الحجوي في إطار برنامج مجتمعي متكامل لا يهدف إلى تعليم جنس دون آخر أو فئة دون غيرها، بقدر ما يرمي إلى تعميم التعليم وإلزاميته ودَمقرَطته، وذلك بأن يتساوى «أفراد الأمّة ذكرانا وإناثا في قدر من العلم الأدبي والتهذيب، يزول به سوء التفاهم بين أفراد الأمّة، وهو أقل ما يكفي لأن يصل به الكل إلى معرفة ما يُصلح مجتمعهم أو يضرّ جامعتهم، فيكونوا كجسم واحد يحس بما يؤلم أعضاءه، ويهتدي الدواء الحقيقي فيتطلبه من حيث ينبغي تحصيله»[19]. إن وعي الحجوي العميق برسالة التعليم في تحقيق التنمية «هو ما يؤسِّس فكرة توزيع المعرفة توزيعا عادلا، بحسبانها رأسمالا اجتماعيا تتساوى فيه الحقوق والأنصبة، ويمتنع فيه نظام الامتياز التقليدي الذي كان يجري فيه تفويتها لفئة دون أخرى عملا بقاعدة التمييز -الواعية واللاواعية- بين (العامة) و(الخاصة) ممن يؤول إليها الحق حصرا. وليس من شك في أن هذا التصور الجديد للرأسمال العلمي الرمزي يقلب رأسا على عقب النظام التقليدي لإنتاج النخب الذي ينغلق على عائلات علمية معلومة دون سواها»[20].

- **مدخل أخلاقي وسياسي**؛ إذ تبّنه إلى نوع من الفساد الأخلاقي قد لحق بالزعامات الدينية والسياسية، وبالمسؤولين الإداريين في البلاد آنذاك؛ ولذلك وجّه الشباب «أن يكونوا قادة لأمّة، ويجروها وراءهم تهذيبا وتعليما، لا أن ينفروها منهم. وليكونوا مثال العفة والأخلاق الفاضلة، وأولها صدقة اللهجة، وتقديم المصالح العامة على الخاصة، ونزاهة اليد واللسان، وحسم مادة الباطل، والرِّشَى، وترك الشبهات فضلا عن المحرمات، وكل أمّة هضمت خاصتها حقوق عامتها، كانت غنما مهزولة في ليلة شاتية لا يرجى لمستقبلها حياة...»[21].

لقد ذكر الحجوي في تقييداته أن المغاربة سئموا من كثرة الجور والاستبداد الواقعان على يد كثير من المسؤولين المخزنيين الذين نعتهم بالجهل والاستبداد والظلم والارتشاء، لأن السلطان عبد الحفيظ -في نظره- لم يكن يقرِّب منه ويرقي إلا القليل من أهل العلم؛ «فعندنا كم من عامل يحكم آلافا من الناس ويفصل خصومهم وحقوقهم، وتأتيه الأوامر المهمّة، وهو لا يعرف أن يقرأ ولا أن يحرّر كتابا (...) بل وكم من قاض في البادية لا يعرف أن يقرأ مقالة جريدة ولا ظهيرا شريفا يتعلّق بوظيفه، والحال أنه قاض.

---

(19)- نقد كتب الدراسة للعلوم العربية بإفريقيا الشمالية، م.س، ص: 266.

(20)- الخطاب الإصلاحي في المغرب التكوين والمصادر، عبد الإله بلقزيز، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ- 1997م، ص: 127.

(21)- الفكر السامي، م.س، مج: 1، ص: 22 - 23.

فكيف لنا بالتقدّم والنجاح ونحن على هذا الحال، فمن الذي يرقّي الأمّة، أهؤلاء الجاهلون؟! كلّا ثم كلّا...»[22].

ولإعداد القيادة الواعية والمثقفة، المؤمنة بدينها، الخاشية لربّها، فإننا محتاجون إلى مقاربة تربوية وتعليمية تراعي النشء في جميع مقوماتهم، وتنظر إليهم من جميع جوانبهم؛ إذ بالتربية والتعليم يُدرّب المتعلِّم «على قول الحق وشهادة الحق ولو بسخط من غير خوف أو مداراة، ويجب الإصداع بالحق وتخليصه ممن يلبسه بالباطل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[23]. ويُدرّب على الأمانة وتجنُّب الخيانة في السر والعلانية، ولو غمزا بعين أو حاجب فيما بين التلاميذ أو مع الوالدين والأستاذ أو غيرهم، فإن الأمّم لا تنجح في رقيّها إلا بتضامن أفرادها عندما يامن ضعيفها شرّ قويها وتتكون بين أفرادها رابطة متينة تحصل منها ثقة كاملة يكون بها كل واحد في عون غيره، بل يعتمد عليه مطمئنا في صون حقوقه (...) قال ﷺ: (ليسَ مِنَّا مَن لَمْ يَأمَن جَارُه بَوائقَهُ)[24] ولا فرق في الجار بين مسلم وغيره، والأمة عائلات متجاورة متعاونة، وكل جمعية كان فرد منها خائنا أو خادعا أو كاذبا كانت ضارة، ومتشتتة خاسرة، ولا تكفي القوانين ردعا للخائنين، بل لا بد من التربية الدينية الصحيحة التي تنشئ ضمائر طاهرة (...) وقال ﷺ: (لا تَظَالَمُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ يَخطِب أَحَدُكُم عَلَى خِطبَة أَخِيه وَلا يَبِعْ على بَيعَتِه)[25]، وقال: (والذي نَفْسُ مُحمَّدٍ بِيَدِهِ لا تُؤمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا)[26]. أخذ الأروبيون بهذا الأصل الإسلامي فارتقوا، وأضعناه فضاع منا كل شيء»[27].

❖ **مدخل نفسي وجداني**؛ فأما إصلاح العلوم إن اقتصر على العلوم العقلية الضرورية فإنه لا يكون مجزيا لتحقيق (الكمال النفساني الوجداني)، ولذلك احتيج إلى الاهتمام بالعلوم اللسانية والأدبية، وبالصنائع الكمالية والفنون الجمالية، مع إيلائها ما تستحق من العناية والتجويد؛ لأنها «باب الأخلاق والتهذيب، وباب الأدب والتأديب، فهي من الضروريات والحاجيات، ومن الكماليات التي يتولّد بإتقانها جمال في

---

(22)- محاضرة في إصلاح التعليم العربي، م.س، ص: 41 - 42.

(23)- البقرة: 42.

(24)- أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: إثم من لا يأمن جاره بوائقه، (8/10)، رقم: (6016)، ومسلم بلفظ (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه)، كتاب: الإيمان، باب: بيان تحريم إيذاء الجار، (1/68)، رقم: (46).

(25)- أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في صحيحه بلفظ: (لا تحَاسَدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض)، كتاب: البر والصلة والصدقة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، (2564)، (32).

(26)- أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في صحيحه بلفظ: (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا...)، كتاب: الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، (1/74)، رقم: (54).

(27)- أساس التهذيب الإسلامي، م.س، ص: 14 - 16.

النفس والفكر واللسان. فإتقان فني الخطابة والشعر والبيان والفنون الجميلة، من أعظم الأشياء التي تهذّب أنفس الأمم، وتولّد فيها الذوق السليم، وإذا فكّرت الأمّة بفكر سليم اهتدت في الرقي إلى طريق قويم. وهذا لا يكون إلا بإتقان العلوم الأدبية التي من جملتها علومنا العربية»[28].

❖ **مدخل تجديدي-معرفي**؛ فقد أدرك الحجوي أن العصور تبدّلت، والعلوم تقدّمت، والأمم تطورت، والمسلمون -في زمنه- قعيدو علومهم وكتبهم، لا يحفلون بتجديد أفكارهم، ولا بتحيين معارفهم. وأما السلف الأول فقد تمكّنوا من إيجاد أساليب وآليات لاءمت واقعهم، وحققت طموحاتهم؛ فالمسلمون في عصرهم الذهبي -مثلا- كانوا «متمسِّكين بالعلوم العقلية يترجمونها عن الغير، ويبتكرون ما لم يكن لمن قبلهم، وينمون ويمهدون ويهذبون...»[29].

إن التحولات التي عرفتها المجتمعات العربية والإسلامية صارت تستدعي تجديدا في الأفكار والأغراض والأساليب، لكنها للأسف في سبات عميق، غافلة عن تطوّر الزمان وما أحدثه من اكتشافات وصناعات ومواصلات، ومن اتّساع في العمران، وزيادة في الإتقان. «ولقد أدركنا هذا التغيّر في المحسوسات وشاهدناه بأعيننا في زماننا وبلدنا، فلندرك ذلك في المعنويات، وهي طرق التعليم. والتعليم هو من الأشياء القابلة للترقّي دائما، ولا ينحصر في دور من الأدوار، ولا يمكن أن يصدق عليه قول الغزالي: ليس في الإمكان أبدعُ مما كان...»[30].

ومع تعقّد الحياة الاجتماعية في عصره، فقد ظهرت الحاجة إلى تطوير المحتويات المدرسية وتحسينها، بما يناسب حاجات المتعلمين واستعداداتهم، ويراعي قدراتهم ومراتب أفكارهم، ويلامس مشاكل بيئتهم وما يحصل في زمانهم؛ «فإنَّا والله محتاجون إلى تأليف كتب تعليمية مدرسية»[31]، ومراجعتها مراجعة جذرية ومستمرة من حين لآخر، «فلنترك عنا الدراسة بكتب المتأخرين المختصرة، المحذوفة الأدلة المستغلقة، ولنؤلف كتبا دراسية فقهية للتعليم الابتدائي، ثم الثانوي، ثم الانتهائي، كل بحسب ما يناسبه، ولنرب نشأة جديدة تشب على النزاهة والأمانة ومكارم الأخلاق تربية صحيحة دينية كتربية السلف الصالح، ولنمرنها على أخذ الأحكام من الكتاب والسنة مباشرة، والاشتغال بكتب الأقدمين التي

---

(28)- محاضرة في إصلاح التعليم العربي، م.س، ص: 40 - 41.

(29)- التعاضد المتين، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، تح: محمد بن عزوز، مركز التراث الثقافي المغربي- الدار البيضاء، دار ابن حزم- بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ- 2005م، ص: 81.

(30)- محاضرة في إصلاح التعليم العربي، م.س، ص: 44.

(31)- نفسه، ص: 68.

كان يتمرّن بها المجتهدون كـ"الموطأ" و"البخاري" و"الأم" للشافعي، ولنجعل كتبا دراسية لأصول الفقه أيضا على نسق ما بيّنا في كتب الفقه، وهكذا النحو وسائر الفنون العربية...»[32].

ولكي يدفع تهمة الابتداع عن نفسه، يذكِّر الحجوي بسنّة بعض الأولين في إصلاح طرائق التعليم، من الذين كانت لهم نظرات صحيحة في الطرق الموصلة إلى تحقيق الأهداف المنشودة من الدرس، كما يدعو إلى الاقتداء بهم والاستفادة منهم، يقول مثلا: «...وليكن كلام ابن العربي هذا دستورا نافعا، وقانونا عاليا لتفهيم الناشئة العصرية، فما رأيت أحسن منه في كلام المتقدّمين فضلا عن المتأخّرين، والله الموفق»[33].

مع مجيء الحجوي بحرا متفجرا من العلم، وشهابا واريا من الذكاء والتجديد، تحقق تقدُّم ملحوظ على مستوى الاشتغال التربوي، بحثا ونقدا وممارسة، بفضل ثقافته الواسعة والمنفتحة على تراث الإنسانية ومنجزاتها القديمة والحديثة على حد سواء.

**المبحث الأول: مجالات اختلاف التعليم بين البنين والبنات عند الحجوي الثعالبي**

لا أعني باختلاف التعليم بين البنين والبنات عند الحجوي، ما تؤكده نتائج الدراسات النفسية التربوية الحديثة من وجود تأثير لمتغير الجنس على العملية التعليمية التعلمية؛ من حيث اختلاف الذكر والأنثى في الذكاء الانفعالي مثلا، أو في الدافعية للإنجاز، ومدى الالتزام بالتوجيهات والواجبات، أو في اختلاف اتجاهاتهما الإيجابية نحو تعلم بعض العلوم واللغات، وما إلى ذلك من أوجه الاختلاف الكثيرة والمتعددة[34]، كما لا أعني باختلاف التعليم بين البنين والبنات تحيّز الحجوي لجنس دون آخر، لا سيما وأنه دعا إلى تعميم التعليم على الذكور والإناث في وسط اجتماعي كان وقتئذ ضد تعليم البنات، وعَرَضَ أدلة نقلية وعقلية وتاريخية قوية جدا تؤيّد حقهن في التعليم[35]. وإنما أقصد بذلك بعض خصوصيات النظام التعليمي

---

(32)- الفكر السامي، م.س، مج: 2، ص: 449.

(33)- محاضرة في إصلاح التعليم العربي، م.س، ص: 57.

(34)- للمزيد من الاطلاع والتوسع، يمكن الرجوع مثلا إلى كتاب: سيكولوجية الفروق بين الجنسين، رشاد علي عبد العزيز موسى، تقديم: عبد العزيز القوصى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 1419هـ - 1998م. وكتاب: الغرب يتراجع عن التعليم المختلط، بفرلي شو، ترجمة: وجيه حمد عبد الرحمن، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، دون طبعة، دون تاريخ نشر.

(35)- شكلت قضية تعليم المرأة عنوانا بارزا لفترة منغلقة وسط مجتمع محافظ كانت فيه النساء محرومات من حقهن في التمدرس حضريات وبدويات، ولكن الحجوي لم يبال بالوسط المغربي الذي كان وقتئذ ضد القضية، ليتفاعل معها برؤية متنوّرة وبروح مقاصدية صرفة قوبلتا بمعارضة وممانعة شديدتين، مع أنه لا دليل على منع البنات من التعليم وإنما هو التقليد الاجتماعي والعرف الدارج لا أكثر، وبذلك يعد الحجوي أول مدافع عن حق المرأة في التعليم، تدل على ذلك كتاباته في هذا الشأن، وخاصة محاضرته الرباطية في إصلاح تعليم الفتيات. وكتابه: تعليم الفتيات لا سفور المرأة.

للبنات، والتي أكد عليها الحجوي في مواضع مختلفة من كتاباته، ومن ذلك قوله في بداية الدرس الثلاثين من دروسه التربوية في كتابه الفريد "أساس التهذيب الإسلامي": «إن الدروس السابقة أكثرها مشترك بين الذكور والإناث، ولا يختص بالذكور منها إلا القليل الذي لا يخفى على ذوي النباهة من المدرسين. ونقتصر في هذا الدرس على شيء مما يخص الإناث...»[36].

وبعد استقراء لخصوصيات تعليم البنات عند الحجوي، وجدناها تعود إلى ثلاثة مجالات رئيسة هي: أهداف التعليم، وبرامجه، ومحله. وتجدر الإشارة هنا إلى أن تلك الخصوصيات التي ذكرها الحجوي لا تخلو من إشارات علمية، ومعطيات نفسية معتبرة، لا زال علماء النفس التربوي يؤكدونها بإلحاح. ويمكن عرض رؤيته لتلك الخصوصيات ضمن تلك المجالات كما يلي:

**المطلب الأول: أهداف التعليم**

أثار موضوع تعليم المرأة في عشرينات القرن الماضي، العديد من النقاشات في الأوساط المغربية نخبة وعامة، وكان الحجوي من المؤيدين لتعليم البنات وتهذيبهن بما يصيرهن عضوا نافعا في الهيأة الاجتماعية، إلا أنه لقي معارضة قوية من الفقهاء المتشددين، فلم يجد في نهاية المطاف بدا من اعتناق الرأي القائل بوضع حدود لتعليم المرأة[37]، فاستدرك على جهوده الفكرية بمناصرة تيار الفقهاء الرافض لاقتحام المرأة مجال التعليم[38]، أو على الأقل التعليم الثانوي، وهو ما يتبين من خلال محاضرته "تعليم الفتيات لا سفور المرأة"، والتي ألقاها سنة 1934م.

---

(36)- أساس التهذيب الإسلامي، ص: 70.

(37)- مع أنه لم يكن مقتنعا بذلك، يقول في هذا الشأن: «لم أقف في الكتاب والسنة على دليل يمنع المرأة من العلم، أي علم كان، أو يوقفها عند حد محدود في التعليم العربي الديني، بل الأصوليون صرحوا بأن المرأة يجوز أن تصل إلى رتبة الاجتهاد في علوم القرآن والسنة وما يوصل إليهما من العلوم الإسلامية حتى تكون كمالك والشافعي وأضرابهما، كما كانت عائشة الصديقية التي كان أعلام الصحابة يستفتونها في المهمات، وكانت أعلم أهل زمانها بالشعر والأدب والطب وغيرها». تعليم الفتيات لا سفور المرأة، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، تحقيق: محمد بن عزوز، مركز التراث الثقافي المغربي-الدار البيضاء، دار ابن حزم-بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ - 2004م، ص: 32- 33.

(38)- مما يدل على ذلك، ما حدث في المؤتمر الذي انعقد بالرباط يوم 9 دجنبر 1922م، حيث ألقى الحجوي محاضرته الرباطية في تعليم الفتاة ومشاركتها في الحياة، وذلك بحضور العديد من الشخصيات المخزنية والعلماء والباحثين، من بينهم الصدر الأعظم محمد المقري، ووزير العدلية الشيخ أبي شعيب الدكالي، وعبد الحي الكتاني، وعبد الأحد الكتاني، ومحمد السائح، فأقدم الصدر الأعظم على إيقاف الحجوي، موجها الكلام إليه: «أنا لا أقول بتعليم البنات لأنه يفتح بابا يعسُر سده، إن الدين الإسلامي لا يساعد على تعليم البنت تعليما يجعلها تشارك الرجل وتزاحمه في الحياة». ثم وجه سؤالا إلى الشيخ أبي شعيب الدكالي قائلا: «فما قولك أيها الأستاذ في الموضوع أيجوز هذا أم لا يجوز؟». وكان جواب الشيخ بالمنع مؤيدا الصدر الأعظم في موقفه. فجلس الحجوي دون أن يتم المحاضرة.

لقد كان الفكر المغربي وقتئذ ضد الفكرة، فرأي الوزير المقري لم يكن شاذا استقل به، بل كان رأي المجموع المغربي يدين به حفاظا على كرامة الجنس اللطيف، وصونا له من مخالطة تعليم قد يرمي به إلى ما لا يتفق وأنوثته الموقرة، إنما الأستاذ الحجوي عاجل الفكرة ناظرا إليها من بعيد، فصدع بها دون مبالاة بالوسط المغربي الذي كان ضدها على طول. من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين: الرباط وسلا، عبد الله الجراري،

هكذا ينبغي أن نفهم الحذر الذي أبداه الحجوي في العديد من القضايا المرتبطة بتعليم المرأة، ومنها على وجه الخصوص وضع حدود لتعليمها، بتحديد سن معين يتوقف فيه تعليم البنت في المدرسة، وذلك بالنظر إلى الأهداف التي ترجى من تعليمها، يقول: «يمكن للفتاة أن تحصل على التعليم الابتدائي، قبل أوان الحجاب، إذا أدخلت المدرسة وهي بنت خمس سنين أو ست سنين، فلا تكمل السنة التاسعة من عمرها أو العاشرة إلا وهي مُحَصِّلة لذلك، فعند ذلك يسدل الحجاب وتكمل تعلمها، إن شاءت، داخل البيت؛ إذ لكل نفس حق طبيعي في طلب الكمال وتنمية الملكة الفاضلة إلى أقصى حد ممكن...»[39].

مؤكدا أنه لا يرى الحاجة ملحة لولوج الفتيات إلى مرحلة الدراسة الثانوية والعليا، يقول في هذا الشأن: «لست أرى من حاجة لبنت المغرب الذي يرى الحجاب دينا حقا وشريعة محكمة، يجب حفظها، وعليه مبنى نظام العائلة، أن تدخل مدرسة ثانوية لتحوز إجازة دبلوم أو بكالوريا، أو غيره مما يفعلونه في الشرق، وإني أرى سد الذرائع هنا واجبا. وقلما يطيب عيش رجل اقترن بمن تفوقه علما فتزدريه، ولنقتصر بهن على التعليم الابتدائي الذي يقتصر عليه سواد الأمم الراقية، فضلا عن أمّة مثلنا لا يحصله منها إلا أقل القليل من الذكور. لسنا بحاجة لها أن تكون عدلا، أو قاضيا، أو كاتبا، أو طبيبا، أو مهندسا، أو محاميا، أو مدير مصنع، أو رئيس مكتب وإدارة تجارة...إلخ[40]، مما لم نر إلى الآن هذه الوظائف تمنح للذكور والكثير منهم عاطل، وإن كان أقل القليل، فكيف نهيئ لها المرأة لتزداد لنا مشكلات العاطلات، وذلك إخراج لها عن وظيفها الطبيعي الذي خلقت لأجله...»[41]. وانتقد الدعوات التي تقول بعدم تحديد دراسة المرأة قائلا: «وكل ما يطلب الزيادة في تعليمها إلى درجات عالية فإنما يريد استدراجنا إلى السفور، وإلى إيقاعنا في مشكلات العاطلات وضمهن إلى العاطلين، وإلى طلب وظائف ليست إليها، والرجل عليها أقدر، بل الرجال لم يجدوها بعد...»[42].

فالحجوي إذن، يرى أن مخرجات تعليم البنات ينبغي أن تسهم في تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمغرب الحماية بدل تعقيدها، كما ينبغي أن تكون ملبية لتلكم الأهداف التي تناسب وظيفتها

---

مطبعة الأمنية، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 1391هـ - 1971م، ج:1، ص: 68. وأيضا: المحاضرة الرباطية، تحقيق: إبراهيم بوحولين، دار الأمان، الرباط، طبعة: يناير 2021م، ص: 60- 61.

(39)- أساس التهذيب الإسلامي، م.س، ص: 70.

(40)- يقول الحجوي في موضع آخر: «وإن كان ديننا لا يمنع البنات من تلك العلوم، ولكنا لسنا في حاجة إليها، وضررها علينا أكثر من نفعها، على أنا والله في حاجة إلى المرأة التي تعلم البنات وتهذبهن، والطبيبة القابلة المولدة، والممرضة، وطبيبة الأسنان مثلا، لمعالجة النساء أمثالهن، وإن كان ذلك غير موافق للذوق الحاضر». المحاضرة الرباطية، ص: 105.

(41)- تعليم الفتيات لا سفور المرأة، م.س، ص: 71- 72.

(42)- تعليم الفتيات لا سفور المرأة، م.س،، ص: 72.

الاجتماعية في ذلك الوقت على الأقل، وهي الأهداف التي يمكن تحقيقها في نظره دون حاجة إلى ولوجها التعليم الثانوي، بله العالي. وعلى رأس تلكم الأهداف إعداد بنات مؤمنات يصلحن لإدارة بيوت أزواجهن على أكمل وجه، وفي هذا كتب يقول: «ينبغي لإخواننا المغاربة أن يعتنوا بتربية بناتهم ليظفروا بلبناتهم، ويهيؤوا بنات ذوات تربية منزلية عالية؛ ليتزوجن بمن تعلم من الأبناء. فإن الابن المتخرج لا يستقيم له عيش إلا مع زوجة متخرجة. ولقد رأيت بعض الجزائريين والتونسيين من المتخرجين من المدارس من رغب عن تزوج المسلمات إلى الأوروبيات، فلما بحثتهم عن السبب أجابوا: إنهم لم يجدوا نسوة عربيات مهذبات، فعدم تربية البنات داع إلى بوارهن وبقائهن بدون أزواج مع طول الزمن وتغيّر الأحوال ودخول التعليم بين الأولاد»[43]. ويقول أيضا مؤكدا هذا الهدف المنشود من تعليم البنات عنده: «ومما يتأكد في حقهن، تعليمهن إدارة شؤون البيت وتدبيره، وتربية الأولاد والاقتصاد والحساب، وقواعد الصحة كالنظافة، وشيئا من الصنائع اليدوية، وشيئا من الأدبيات العربية والأخلاق، بقدر ما تكون به البنت مهذبة قادرة على بث روح الأدب واللطف في منزلها وأولادها؛ لأنها هي المدرسة الأولى لأولادها، فمستقبل أولادها متوقف على أن تكون لهم أم ذات تربية إسلامية كاملة»[44].

لعل التأثير الذي تُحدثه الأم في بنيات طفلها النفسية والعقلية والجسمية والسلوكية[45]، هو ما جعل الحجوي يحرص أشد الحرص على القول بوجوب تعليم المرأة تعليما يجعلها أمّا صالحة، قادرة على تحمل أمانة تربية الأبناء، والاهتمام بنشأتهم النشأة الإسلامية الصحيحة، خاصة في مرحلة الطفولة؛ «لأن حياة الإنسان كلها إنما هي نتيجة ذلك الطور القصير طور الطفولية، ومرآة ينطبع فيه كل حين أثر تربيته الأولى والمدرسة الأولى»[46].

إن مرحلة الطفولة، كما يقول الحجوي، هي الحلقة التي تضيع بإهمالها أهم أطوار حياة الرجال، ويتعذّر بسبب ذلك تعليل كثير من أحوالهم[47]. وهذا بالضبط ما يؤكده علم نفس النمو، يقول فايز قنطار

---

(43)- المحاضرة الرباطية، م.س، ص: 104.

(44)- المحاضرة الرباطية، م.س، ص: 105.

(45)- تؤدي الأم عدة وظائف منها: تأدية الموارد الأساسية من أجل إجابة الطفل لمتطلباته الطبيعية وإعطائه الأمان الجسدي، كما تبحث في طبيعة الحاجات الأساسية من الأمان العاطفي الذي يخلق جوا سيكولوجيا مناسبا، إلى جانب وظيفية ذات طبيعة اجتماعية ثقافية تتعلق باكتساب اللغة، والقيم الجماعية، والطباع والعادات التقليدية. صورة الأم عند الطفل المسعف: دراسة عيادية لحالتين، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، من إعداد: قدور صليحة، بإشراف: زروالي لطيفة، قسم علم النفس والأرطوفونيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2، الجزائر، 2014- 2015م، ص: 12.

(46)- الفكر السامي، م.س، ج:1، ص: 12.

(47)- الفكر السامي، م.س، ج:1، ص: 12.

الحاصل على دكتوراه في بيولوجيا السلوك من جامعة بيزانسون بفرنسا: «تأخذ دراسة سلوك الأمومة أهمية خاصة في العملية التربوية؛ لأن التربية في المراحل اللاحقة من حياة الطفل يجب أن تستند إلى الأسس التي وضعتها الأسرة وخصوصا الأم...»[48]. ويضيف أيضا في موضع آخر: «وتشير نتائج البحوث المختلفة إلى أهمية الشعور بالاطمئنان في المراحل المبكرة من حياة الطفل، ليتمكن من الصمود في مواجهة المثبطات والسلبيات في مراحل لاحقة من العمر؛ فالتعامل مع الطفل بإيجابية ومحبة، وباحترام لفرديته، يسهم في تفتح شخصيته، وتنمية قدراته الإبداعية...»[49].

ولهذا الأمر قصد الحجوي في ترجمته أن يلفت الانتباه إلى دور المربية -الأم والجدّة- وما تحدثه من تأثير في مرحلة الطفولة، ليبيّن ما للنساء من أثر عظيم في تربية الناشئة على الاتجاهات الإيجابية، يقول: «إن تأثير هذه التربية الأولى على حياتي هي التي أوضحت لي أن تربية الأمهات لها دخل كبير في تهيئة الرجال النافعين وإعداد الأمم للنهوض. لذلك أرى وجوب تعليمهن وتهذيبهن تعليما يليق بديننا ويزيّن مستقبل أولادنا ويصيرهن عضوا نافعا في هيأتنا الاجتماعية»[50]. ويؤكد ذلك أيضا في سياق حديثه عن وجوب اختيار الزوجة الصالحة، يقول: «فإن أولاده أول ما يفتحون أعينهم على الأم، فلغتها لغتهم ودينها دينهم، ومعتقدها معتقدهم وأخلاقها أخلاقهم وعرضها عرضهم، فهم متأثرون منها بكل شيء وقبل كل شيء غالبا، إذ هي مدرستهم الأولى، وبطابعها ينطبعون أكثر من طابعه، وما أفسدته الأم من أخلاق الولد أو لغته أو دينه يصعب على الأب أو الأستاذ إصلاحه إن لم يكن محالا. وهكذا غالب الناس تكون صحتهم متأثرة من صحة الأم، فالأم إن كانت ضعيفة أو مريضة كان الولد كذلك، وإن كانت صحيحة الجسم قوية البنية كان الولد كذلك، وجبرت ما عسى أن يكون في الأب من ضعف أو علة»[51].

إن قول الحجوي هذا، المتعلق بمرحلة الطفولة الأولى، يحيل لا شك على معطيات نفسية دقيقة؛ إذ تثبت الدراسات السيكولوجية أن تبادلا بين الأم والطفل يحدث منذ الأيام الأولى، ويشترك الطرفان في تفاعل معقد. ويبدو أن التكيف الآلي لسلوك الأم، وكأنه يهدف إلى التقاط إحساسات الصغير وقدراته الاتصالية، كما يعتبر حديث الأم المتزامن مع حركات جسدية خاصة صيغة من التكيف مع القدرات المعرفية والتعلمية والمعلوماتية للطفل، ودعما قويا للتطورات المعرفية الأولية عنده. ويوافق الكثير من

---

(48)- الأمومة: نمو العلاقة بين الطفل والأم، فايز قنطار، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رقم: 166، 1992م، ص: 10.

(49)- نفسه، ص: 141.

(50)- الفكر السامي، م.س، ج:1، ص: 12.

(51)- أساس التهذيب الإسلامي، م.س، ص: 69 - 70.

الباحثين على أن الاتصال اللاكلامي (بواسطة الإشارات الجسدية: التقليد، التعابير الوجهية، الابتسام، الكدر، العبوس) يعتبر نقطة انطلاق هامة في تطور الاتصال الكلامي في مراحل لاحقة من العمر[52].

يصدِق ذلك أيضا ما قرّره الفقيه الحجوي في نص طويل عن خطورة مرحلة الطفولة وأهميتها، ومركزية الأم فيها، يقول: «الأم هي أول مدرسة يلقن عنها الولد كل تربية وتهذيب؛ فعن الأم يأخذ الأولاد مخارج الحروف، ومعرفة اللغة، وحسن المنطق، وفصاحة اللسان، واتساع الفكر، وكيفية التفكير (...) إن للتربية البيتية أعظم تأثير على الأولاد، أكثر من المدارس، فأصل صلاح العائلة بصلاح الأم، وفسادها بفسادها، وصلاح العائلة به صلاح الأمّة. فالأم لها تأثير عظيم على فكر الولد بتعليمها وبطباعها وأخلاقها، فمن فم الأم إلى فؤاد الصبي، والتعلم في الصغر كالنقش في الحجر، ففي زمن الطفولية ينطبع فكر الصبي، وطبعه على الصور الجميلة والأخلاق الجميلة، واللغة الجميلة، والحركات الجميلة، أو ضد ذلك. يطيب إن طابت ويخبث إن خبثت.

وفي الصغر يأخذ قضايا مسلمة في البيت تنطبع في قراءة فكره، فلا سبيل إلى محوها، لا سيما إن كان قليل الذكاء، ضعيف التفكير والنقد. ومن فطرة الإنسان التقليد، ومن التقليد يأتيه الخير أو الشر، فإن قلد أبويه في الخير كان ولدا صالحا، والعكس بالعكس، وما قلدهما فيه في الصغر صعب محوه في الكبر، وكل من يشار إليه بفلسفة أو نبوغ في التفكير والنقد تجد عنده من التقليد أضعاف أضعاف ما انتقده، أو اجتهد فيه أو لاحظ عليه، وإن العقيدة إذا تكررت على ذهن الصبي مرة بعد مرة، وقبلها اكتسبها ملكة لا تزول وقلما تغير الأيام منها شيئا...»[53].

إن أهداف تعليم البنات عند الحجوي كانت مرتبطة إلى حد كبير بالمحددات الاجتماعية التي كان يرسمها المجتمع المغربي الذي عرف بتحفظه وانغلاقه، وهي المحددات التي ستظل صامدة زمنا طويلا بعد إعلان الحماية الفرنسية على البلاد. بيد أن دعوة الدين الإسلامي نفسه إلى وجوب تعليم المرأة، كانت سندا قويا في سيره مدافعا عن حقها في التعليم؛ ومن هنا فوجوب تعليم المرأة عند الحجوي نابع من وجوب التزامها بالأحكام الدينية المفروضة على كلا الجنسين دون تمييز، مما يستوجب «أن نربي البنات على تعلم العقائد الدينية، والفقه الضروري، وآداب الدين، وماتيسر من القرآن العظيم. وهذا لايخالف فيه مسلم، لأن

(52)- الأمومة: نمو العلاقة بين الطفل والأم، م.س، ص: 151- 152.

(53)- تعليم الفتيات لا سفور المرأة، م.س، ص: 57- 58.

النساء كلهن شقائق الرجال في الأحكام، فتعلمهن ما ذُكر مع وسائله التي توصل إليه واجب بلا شك»[54]، لكن دائما وفق العوائد والأعراف، والذوق السائد الذي كان يحكم المغرب في تلك المرحلة من التاريخ[55].

إن المربين في كل بلدان العالم يسعون إلى تهييئ الأفراد لتكميل ذواتهم من جهة، وخدمة أغراض المجتمع الذي يعيشون فيه من جهة أخرى، حتى يكونوا في انسجام تام مع بيئتهم، محققين للوظائف الاجتماعية المنوطة بهم، وهذا الأمر كان حاضرا في ذهن الفقيه الحجوي وهو يتحدث عن تعليم البنات في المرحلة التي كان يعيش فيها، وإلا فهو مصر على إدماج المرأة في مخطّط التنمية، ولكن بشكل متدرج، وهو ما يظهر في كثير من عباراته من قبيل: «الموافق للذوق الحاضر»، وهذا ما أشار إليه عبد الله الجراري وهو يتحدث عن فكر الحجوي الاستباقي في قضية تعليم المرأة، يقول: «ويبدو أنها لو أخذت طريقها المبكر ساعته لسارت بحدوها إطار الوقار، وتحوطها هالة الحشمة، وكرامة الأنوثة في تدرج لائق، لكنها فرضت نفسها بعد عشرين سنة من إعلانها فاندفعت في فورة ثائرة تتعثر هنا وهناك، وتميع بعض جنباتها ميعة مخجلة»[56].

**المطلب الثاني: برامج التعليم**

لم يكتف الحجوي بخوض معارك لإثبات حق المرأة في التعليم، وإنما وضع لها برنامجا تعليميا متنوعا هو كفيل بإنماء مختلف عناصر شخصيتها النفسية والعقلية والاجتماعية والمهارية على نحو شمولي ومتكامل. ويمكن حصر برامج التعليم الخاصة بالبنات المغربيات المسلمات، من خلال الحديث عن ثلاثة مجالات تعليمية يراها الحجوي مهمة لتحسين أدائهن الوظيفي في مجتمع تلك الفترة:

أ- تعليم ديني تهذيبي

يؤمن الحجوي بأهمية التعليم في تهذيب خُلق البنت وتقويم سلوكها، ولذلك يجب في حقها أن تُعلَّم «ضروريات الدين من عقائد وعبادات...»[57]، حتى تعبد ربها على بصيرة، ويستعد عقلها لقبول الآراء السليمة، وطرح الخرافات التي تفتك بعقول النساء وتؤثر في المجتمع بأكمله.

وحتى تكون البنت خير ربة لمنزلها، وعضوا صالحا في مجتمعها، فإن ذلك متوقف على تربيتها تربية إسلامية كاملة؛ ولذا يجدر بها أن «تتعلم الأخلاق الإسلامية تعليما وتخلقا حتى تستكمل لطف الشمائل (...) وتنمو فيها العواطف الجميلة التي هي ينبوع الخيرات (...) إلى غير ذلك مما تكون به علوقا مزيزة ذات فضيلة

---

(54)- المحاضرة الرباطية، م.س، ص: 105.

(55)- نفسه.

(56)- التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين من 1900 إلى 1972، م.س، ص: 140- 141.

(57)- تعليم الفتيات لا سفور المرأة، م.س، ص: 63.

عالية، ونفس سامية...»[58]. فإن أخلاق المرأة في نظر الحجوي أهم بكثير من جمالها الذاهب، ولذلك «فلتكن عروسة صالحة، وأما رؤوما، لتصلح لسيادة البيت ورياسته (...) لا سيما مع انتشار العلم في الذكور (...) والولد الذي له معارف يميل إلى زوجة تجانسه طبعا ولو نقص جمالها ومالها، طلبا للمناسبة، وقد امتن الله علينا بالزوجة المجانسة لنا فقال: ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[59][60]. ويضيف الحجوي مؤكدا على ضرورة تحقق التوافق النفسي والفكري بين الزوجين: «ولا تكمل هذه المودة إلا إذا كانت الزوجة قريبة من رتبة الزوج: علما وأخلاقا وأدبا، ولو في الجملة»[61].

في مقابل ذلك، دعا الحجوي إلى عدم تربية البنت تربية أوروبية، لأنها تربية -في نظره- لا تنسجم مع الواقع المغربي وخصوصياته؛ فمن خلال ما دونه في رحلته إلى أوروبا نستشف الجانب الذي كان يبغضه في النساء الأوروبيات وهو قلة حشمتهن، وخاصة الفرنسيات اللواتي «خلعن ربقة الحياء، وتبرجن تبرجا لا يتصور فوقه إلا سِفاد الحيوانات في الطرق جهارا (...) فهذا شيء أفسد الأخلاق، ولا تستحسنه الأذواق، ولا يقول به طبع ولا عقل ولا شرع...»[62].

ب- تعليم علمي وفكري:

طالب الحجوي بتعليم البنات تعليما علميا وفكريا بما يجعلها شريكا للرجل في التحصيل، لا لتزاحمه في الوظائف، حيث دعا إلى تعليمهن «مبادئ النحو، والآداب العربية كذلك، تعليما ابتدائيا مع المطالعة، والإملاء والإنشاء المناسب»[63]، إلى جانب «تعلم الحساب كذلك، وعلى الأقل قواعده الأربع؛ بحيث إذا مات زوجها وأصبحت وصية على أولادها، أو تصرفت لنفسها تعرف ضبط ما هي مضطرة إليه: حسابا وكتابا لئلا يذهب مالها ومال المحاجر ضحية الجهل أو الغلط والنسيان. وتتعلم الجغرافية والتاريخ ومبادئ العلوم، ومنها الهندسة العملية، وكل ما له علاقة بالأدب والثقافة تعليما ابتدائيا يصيرها قادرة على التفكير الصحيح»[64]. بينما يكون تعليم الفرنسية اختياريا وليس إلزاميا بطلب من آباء المتعلمات[65].

---

(58)- نفسه، ص: 64- 65.

(59)- الروم: 21.

(60)- تعليم الفتيات لا سفور المرأة، م.س، ص: 65- 66.

(61)- نفسه، ص: 66.

(62)- الرحلة الأوروبية 1919، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، حقّقها وقدّم لها: سعيد الفاضلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 2003م، ص: 74.

(63)- تعليم الفتيات لا سفور المرأة، م.س، ص: 63

(64)- نفسه.

(65)- نفسه، ص: 61.

لقد ذهب الحجوي بعيدا في مناداته بتعليم البنات تعليما شموليا عصريا، يتجاوز تلك الطرق التقليدية القليلة الجدوى؛ ذلك بأن تربية البنت وتعليمها من وجهة نظره هو «ضروري من حيث الدين والاجتماع معا، وليس هو بكمالي كما يظن بعض من لم يمعن النظر في المسألة تأملا ونقدا، وقد أجمع الرأي العام داخل المغرب وخارجه على أن تربية الأم هي أساس صلاح الأمة أو فسادها، ولا سبيل لأمّة أن تحل المحل اللائق من الرقي إلا بتعليم البنت وتهذيبها، وبقدر تعميم رقي البنت الفكري والأخلاقي ترقى الأمة، وبقدر نقصان ذلك التعميم تنحط الأمة»[66].

ج- تعليم تطبيقي مهني:

ذكر الحجوي أن هذا التعليم لم يكن أمرا مستحدثا في المغرب زمن الحماية، بل كان موجودا قبل دخول المستعمر، حيث كتب يقول: «ولقد أدركنا فاسا، قبل عهد الحماية، وفي جل حوماتها دور لتعليم البنات (...) زيادة على دور أخرى تختص بتعليم الصنائع اليدوية الرقيقة المتنوعة (وكلكم يعلمها) تعليما ممزوجا بأدب المنزل، وكان في كل درب منها عدد ليس بقليل. نقول عن تحقيق: إن جل بنات فاس كن يتعلمن الصنائع...»[67]. كما جاء في محاضرته الرباطية «أن جل الناس كانوا يعلمون بناتهم كثيرا من صنائع اليد؛ كالطراز والخياطة وغير ذلك، ويبعثوهن لمعلمات يعلمنهن كمدارس صناعية، وذلك في الحاضرة والبادية»[68].

وقد انطلق رحمه الله من هذا المعطى التاريخي ليشدّد على مسألة تعليم المرأة ما تستطيع به أن تحسّن تدبير المعيشة، وتسهل الحياة على زوجها؛ ومن ذلك أن «تتعلم تدبير المنزل بمعناه الحقيقي، والاقتصاد والرشد في الأحوال، لتقوم بما عهد إليها أحسن قيام من تدبير مملكتها»[69]. بالإضافة إلى «فن التربية لتحسن تربيتهم به، وتسبك منهم جواهر نفسية تكون حلية في تاج البلاد المغربية»[70]، إلى جانب تأكيده على ضرورة تعليمها «تدبير الصحة والرياضة البدنية، لما في ذلك من حفظ صحتها، وصحة أولادها لتربيتهم جسما وروحا وأدبا»[71].

---

(66)- نفسه، ص: 59.

(67)- تجديد الفقه ونصوص أخرى، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، تقديم: سعيد بن سعيد العلوي، مكتبة الاسكندرية، مصر، الطبعة الأولى، 1435هـ - 2014م، ص: 147.

(68)- المحاضرة الرباطية، م.س، ص: 153.

(69)- تعليم الفتيات لا سفور المرأة، م.س، ص: 66.

(70)- نفسه، ص: 67.

(71)- نفسه.

كما شدد على أن تتعلم الفتاة «صنعة أو أكثر، كالخياطة والطرز والفنون الجميلة والطهي وغير ذلك، استعدادا للطوارئ، ولا سيما إذا كانت فقيرة؛ فالصنعة لها ضرورية لتكسب منها قوتها الضروري والحاجي»[72]. ومن هنا لا يرى الحجوي مانعا من اشتغال المرأة ما دام مكسبها حلالا، ولكن طبق الضوابط الشرعية، ووفق ما يتلاءم وطبيعتها النفسية[73]، وكذلك في حدود ما ينسجم مع الذوق الاجتماعي الدارج في ذلك الوقت، لأن الحجوي يؤمن بالتطور التدريجي، وإلا فهو مع أن تمارس المرأة وظائف أوسع مما كان منوطا بها في زمنه، يقول: «على أنا والله في حاجة إلى المرأة التي تعلم البنات وتهذبهن، والطبيبة القابلة المولدة، والممرضة، وطبيبة الأسنان مثلا، لمعالجة النساء أمثالهن، وإن كان ذلك غير موافق للذوق الحاضر...»[74].

**المطلب الثالث: محل التعليم**

حسم الحجوي في مسألة محل التعليم الذي يصون كرامة الفتيات، ويضمن لهن تحصيلا جيدا؛ حيث رأى أن تعليمهن يجب أن يتم في محل خاص لا يرتاده الذكور، كما نبّه إلى ضرورة اقتصار جنس المدرسين على النساء دون الرجال، شريطة أن تكون المدرسات ذوات أخلاق فاضلة، وكفاءة عالية تمكنهن من تدريس بنات المغرب، يقول: «ويكون تعلمهن على يد نسوة متعلمات فاضلات ماهرات في التعليم، حسنة السلوك مؤتمنات، وفي محلات مخصوصة بالبنات، لا مختلطات بالأولاد»[75]. وأرى أنه لو تحقق هذا الأمر، لما حدّد الحجوي للبنات سنا يتوقفن عنده عن التعليم في المدارس، ولكان في موقع قوة للحث على مواصلتهن التعليم.

لقد اعتبر الحجوي اختلاط الإناث بالذكور في محل تعليمي واحد نافذة للإخلال بمقاصد التعليم النسوي وأهدافه، ونجد ما يؤكد هذا الأمر ضمن الدراسات التربوية المتعلقة بسيكولوجية المتعلم والمتعلمة وميكانيزمات تعلمهما، والتي بناء على نتائجها واستنادا على مخرجاتها، عمدت بعض الدول، بغض النظر

---

(72)- تعليم الفتيات لا سفور المرأة، م.س، ص: 67- 68.

(73)- يقول الحجوي في هذا الشأن: «فالرجل لقوته البدنية والعقلية اللتين هما بلا شك في الرجل أوفر منه في المرأة، نظرا للأغلب الأكثر، قوام على المرأة، فالرجل لميدان القتال والكر والفر (...) الرجل للفأس والمحراث (...) أما المرأة، فالإسلام اعتبرها منبت الإنسان، فمنها تكون العائلة، وهي قرارة النطفة المكينة المؤتمنة على استيداع أمانتها، وهي بذرة العائلة التي هي بذرة الأمّة، ومربية الأولاد، ومدبرة البيت، وسائسته، ورئيسة العيال، ومصلحة شؤون المنزل (...) فالشريعة قسمت لها الحياة، وخصصت للرجال الأعمال الشاقة العظيمة، وملاقاة الأخطار والدواهي، لما أعطاهم الله من مزيد القوة (...) وخصصت الجنس اللطيف لكل لطيف يستدعي شفقة ورقة: من حفظ النسل وتنميته، والقيام بالشؤون الداخلية التي هيأهن الحق سبحانه لها بحكمته البديعة لغرائز فيهن فطرن عليها حنانا وشفقة، ونجاحا في التربية، ورقة، وعاطفة، وإحساسا على الولد الضعيف الخلقة، وما لهن من الحذق في سياسة التربية والتنمية، والميل مع العواطف، فأعطى لكل واحد من النوعين ما يليق به على مقتضى الحكمة والخلقة والفطرة الثابتة التي لا تتحول، وناموس الكون المشاهد». تعليم الفتيات لا سفور المرأة، م.س، ص: 67- 68.

(74)- المحاضرة الرباطية، م.س، ص: 105.

(75)- نفسه.

عن معتقداتها الدينية، إلى فصل الذكور عن الإناث في التعليم بمدارس خاصة بكل جنس، كما تخلت بعضها كذلك عن التعليم المختلط لما فيه من المفاسد وتضييع للمقاصد، إذ تؤكد -على سبيل المثال- نتائج دراسة أجراها معهد أبحاث علم النفس الاجتماعي في بون «أن تلاميذ وتلميذات المدارس المختلطة لا يتمتعون بقدرات إبداعية، وهم دائما محدودو المواهب قليلو الهوايات. وإنه على العكس من ذلك تبرز محاولات الإبداع واضحة بين تلاميذ مدارس الجنس الواحد؛ فنجد هوايات البنين واضحة في الرسم وكرة القدم، وكذا هوايات البنات في المجال المخصص لهن»[76]. ويمكن تلخيص أهم ما توصل إليه البريطاني التربوي بفرلي شو (Beverly Shaw) في كتابه: "الغرب يتراجع عن التعليم المختلط" للدعوة إلى إيجاد مدارس غير مختلطة فيما يلي:

- يحابي واضعو المناهج الدراسية، ربما دون وعي، أحد الجنسين ولاسيما البنين.
- إن البنين والبنات يحتاجون، نظرا للاختلاف في تطورهم الجسمي والذهني، إلى معاملة مختلفة، والمدارس المختلطة تهمل الفروقات الجنسية بين الجنسين.
- هضم حقوق البنت في ممارسة الأنشطة الرياضية وغيرها، وذلك لعدم توفر ملاعب مستقلة لكلا الجنسين.
- عدم الأخذ بعين الاعتبار لدى وضع المناهج التعليمية الأهداف المستقبلية الحقيقية التي ينشدها كل من الجنسين.
- يحتاج الذكور إلى اهتمام أكبر في الفصل، على الأقل على مستوى ضبطهم؛ إذ يقضي المدرس وقتا طويلا في تهدئتهم، وذلك كله على حساب وقت التلميذة وتحصيلها العلمي.
- المدرسون يتمتعون بنظرة تمييزية وفقا للجنس لدى معاملة تلامذتهم.

لقد شدد الحجوي على ضرورة أن تشرف على تعليم البنات نسوة ماهرات في التعليم، تجنبا للمخاطر المحتملة التي قد تنتجها ظروف مخالطة المدرِّس للمتعلمات، لذلك دعا إلى تكوين المعلمات اللواتي ستناط بهن مهمة التدريس، يقول في هذا الصدد: «يجب علينا أن نهيئ من البنات معلمات مدرسات، يعلمن بناتنا ويهذبنهن تهذيبا عربيا إسلاميا، بالقدر الذي أشرنا إليه، وبيناه إليكم آنفا، وهذا أول ما ينبغي لنا أن نبدأ به في تعليم البنات ويجب تقديمه قبل كل شيء؛ إذ هو الأساس الذي ينبني عليه هذا الصرح العظيم، وطالما

(76)- الغرب يتراجع عن التعليم المختلط، م.س، ص: 8.

ناديت بهذا معلنا أن الإكثار من مدارس البنات قبل وجود مدرسة المعلمات، لا بد أن يلجئنا إلى إدخال المعلمين الذكور لتعليم البنات، وذلك الخطر العظيم، كإيقاد الفرن بمخزن البارود»[77].

وتكوين المعلمات يحتاج لإنشاء مدارس تكوينية تعنى بهذا الشأن، وقد اعتبر الحجوي إنشاءها من أولى الأولويات، «فمدرسة المعلمات أسبق عند كل ذي لب وغيرة ودين، فكما يجب علينا أن نبعد مدارس البنات عن مدارس البنين، وألا يختلطن بهم، كما أمر الله ورسوله، كذلك يجب البداءة بمدرسة المعلمات»[78].

لقد قدم الحجوي تصورا متقدما لتطوير مدارس البنات؛ فبعدما أوردت سلطات الحماية تقريرها عن برامج تعليم البنات المسلمات بالجزائر سنة 1934م، وعرضته على السلطان المغربي، طُلب من الحجوي إبداء رأيه في مدى صلاحية تطبيقها في المدارس المغربية للبنات، وما يمكن إدخاله من تعديلات كي يصبح ذلك البرنامج صالحا[79]، ومن جملة ما اقترحه:

- تعيين معلمة لتعليم القرآن الكريم بعد امتحانها بمحضر بعض طلبة المدينة التي بها المدرسة، ومندوب المعارف أو من ينوب عنه، وذلك -كما يقول الحجوي- حفظا لحق جلالة السلطان لما له من الإشراف على أمور التعليم.
- تعيين معلمة ثانية مسلمة تعلم الدين والقراءة والكتابة والآداب العربية، وإذا لم توجد من فيها الكفاءة، يعين معلم مسلم بعد امتحان أو مناظرة من طرف ذوي الدين والثقة، ويصادق السلطان عليه، لينقطع كلام المعترضين.
- تعليمهن الكتابة والقراءة بإتقان وبطريقة سهلة وفي مدة قصيرة؛ كذلك أمر بتعليم الكتابة بالفرنسية، ولكن ذلك يخص البنت التي طلب وليها ذلك.
- أما الدروس في التربية الأدبية والتربية البدنية التي نص عليها المنشور، فينبغي أن يتولاها معلم فقيه ريثما توجد معلمة مسلمة. ولا ينبغي أن يتولاه إلا المسلمون والمصادق عليهم من الجناب الشريف[80].

---

(77)- تعليم الفتيات لا سفور المرأة، م.س، ص: 73.

(78)- تعليم الفتيات لا سفور المرأة، م.س، ص: 73.

(79)- الفكر الإصلاحي في عهد الحماية (محمد بن الحسن الحجوي نموذجا)، آسية بنعدادة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2003م، ص: 288- 289.

(80)- نفسه، ص: 289.

**خاتمة:**

إني أرى وقد بلغتُ كلمة الختام هاته، أن أَذكُر أَهمّ الخلاصات والنتائج التي تمّ التوصّل إليها، وذلك على النحو الآتي:

- يعد الحجوي أول مصلح عربي مسلم مدافع عن حق المرأة في التعليم في القرن العشرين.
- الحجوي هو واحد من علماء التربية الكبار، إلى جانب سؤدده في علم الفقه وأصوله.
- لم يكن بحث الحجوي في قضايا الإصلاح التعليمي ترفا معرفيا أو أمرا كماليا، بل كان لأسباب موضوعية معتبرة.
- إن مرحلة الطفولة بالنسبة للحجوي هي أهم مرحلة في حياة الإنسان وأخطرها على الإطلاق، وتلعب الأم دورا مركزيا فيها.
- إن التأثير الذي تُحدثه الأم في بنيات طفلها النفسية والعقلية والجسمية والسلوكية هو ما جعل الحجوي يخوض معارك من أجل الدفاع عن حق المرأة في التعليم.
- إن التعليم المجدي للبنات بالنسبة للحجوي هو الذي يسهم بمخرجات تفيد في تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع.
- الأهداف الموجهة لتعليم البنات ينبغي بالضرورة أن تلائم مقوماتهن البيولوجية.
- الأهداف الموجهة لتعليم البنات ينبغي بالضرورة أن تراعي خصائصهن النفسية الأنثوية.
- الأهداف الموجهة لتعليم البنات ينبغي بالضرورة أن تناسب وظيفتهن الاجتماعية.
- نبه الحجوي إلى برنامج تعليمي متكامل لتعليم البنات يلبي جميع حاجاتهن المختلفة في حدود بيئته وزمانه.
- يرى الحجوي أن اختلاط الإناث بالذكور في محل تعليمي واحد هو نافذة للإخلال بمقاصد التعليم النسوي وأهدافه.
- إن البنين والبنات يحتاجون، نظرا للاختلاف في تطورهم الجسمي والذهني، إلى معاملة مختلفة، والمدارس المختلطة تهمل الفروقات الجنسية بين الجنسين.

ومن خلال ما توصّلت إليه من خلاصات ونتائج، فإنني أوصي الجهات المكلفة بإعداد المناهج التعليمية بأن تأخذ بعين الاعتبار الوظائف الاجتماعية للمرأة أثناء التخطيط للأهداف، دون إغفال لما يتناسب مع طبيعتها الأنثوية، إلى جانب الوعي أثناء تنزيل المناهج بمقومات البنات البيولوجية وخصائهن النفسية.

**المصادروالمراجع:**


- **القرآن الكريم** برواية ورش عن نافع.
- صحيحا البخاري ومسلم.

1. **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث والرابع عشر**، موسوعة أعلام المغرب، لعبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، تنسيق وتحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م، الجزء التاسع.
2. **أساس التهذيب الإسلامي**، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، تح: الطالب محمد شرنان، بحث لنيل شهادة الماستر في الدراسات الإسلامية، ماستر الاختلاف في العلوم الشرعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، الموسم الجامعي: 2019/2018م.
3. **أهم الأخبار عن حرب الثار والاستعمار والمذكرات مما له اعتبار**، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، مخطوط المكتبة الوطنية، الرباط، ح 122.
4. **التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين من 1900 إلى 1972**، عبد الله بن العباس الجراري، مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1985م.
5. **تجديد الفقه ونصوص أخرى، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي**، تقديم: سعيد بن سعيد العلوي، مكتبة الاسكندرية، مصر، الطبعة الأولى، 1435هـ - 2014م.
6. **التعاضد المتين**، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، تح: محمد بن عزوز، مركز التراث الثقافي المغربي- الدار البيضاء، دار ابن حزم- بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ- 2005م.
7. **تعليم الفتيات لا سفور المرأة**، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، تحقيق: محمد بن عزوز، مركز التراث الثقافي المغربي-الدار البيضاء، دار ابن حزم-بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ - 2004م.
8. **الخطاب الإصلاحي في المغرب التكوين والمصادر**، عبد الإله بلقزيز، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1997م.

9. خطب في التربية والتعليم، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، مخطوط المكتبة الوطنية، الرباط، ح 118.
10. **الرحلة الأوروبية 1919**، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، حقّقها وقدّم لها: سعيد الفاضلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 2003م.
11. **سيكولوجية الفروق بين الجنسين**، رشاد علي عبد العزيز موسى، تقديم: عبد العزيز القوصى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 1419هـ - 1998م.
12. **صورة الأم عند الطفل المسعف: دراسة عيادية لحالتين**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، من إعداد: قدور صليحة، بإشراف: زروالي لطيفة، قسم علم النفس والأرطوفونيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2، الجزائر، 2014- 2015م.
13. **الغرب يتراجع عن التعليم المختلط**، بفرلي شو، ترجمة: وجيه حمد عبد الرحمن، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، دون طبعة، دون تاريخ نشر.
14. **الفكر الإصلاحي في عهد الحماية** (محمد بن الحسن الحجوي نموذجا)، آسية بنعدادة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2003م.
15. **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي، تحقيق: أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1428هـ - 2007م، في جزءين.
16. **المحاضرة الرباطية في إصلاح تعليم الفتيات بالديار المغربية**، تحقيق: إبراهيم بوحولين، دار الأمان، الرباط، طبعة: يناير 2021م.
17. **محاضرة في إصلاح التعليم العربي**، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، تح: إبراهيم بوحولين، دار الأمان، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 2021م.
18. **من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين: الرباط وسلا**، عبد الله الجراري، مطبعة الأمنية، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 1391هـ - 1971م.
19. **نقد كتب الدراسة للعلوم العربية بإفريقيا الشمالية**، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، تح: حسن أحمد الحجوي، ملحق بكتابه: العقل والنقل في الفكر الإصلاحي المغربي (1757 - 1912)، حسن أحمد الحجوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2003م.

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

# أثر التربية الأسرية السليمة في تحقيق العمران من خلال القرآن الكريم

د. محمد مقساوي

maksaoui.m@ucd.ac.ma

**الملخص:**

تعتبر التربية الأسرية الدعامة الأساسية لبناء المجتمعات التي بها يبنى العمران، لأنها المدرسة الأولى للتنشئة على القيم الدينية والمعرفية والاجتماعية والاقتصادية ... والمهارات الأساسية لتنمية الفرد وتشكيل شخصيّته القوية وتأهيله للمشاركة الفعّالة في بناء المجتمع، وهي الطريق نحو تحقيق التنمية المستدامة والشاملة فالتربية عملية لا أمية كبيرة في التنشئة على القيم الفاضلة، فإصلاح أي أمة لا يكون بالقضاء على الشرور فقط، بل بتربية الأجيال على القيم الحميدة وبالتالي رفعها إلى مستوى الإنسانية الحق، ولذلك فالتربية المبنية على أسس سليمة تؤدّي دورًا أساسيا في تنمية قيم الصدق والعدالة والاحترام والتعاون والمسؤوليّة لدى الفرد، ما يعزِّز التسامح والتعايش السلميّ في المجتمع. وتعزّز التربية اكتساب مهارات الاتّصال والتواصل، وحلّ المشكلات، واتّخاذ القرار، والتفكير الناقد الضروري للنجاح في الحياة الشخصيّة والمهنيّة، فمن خلال تنمية هذه القيم والمهارات تستطيع التربية أن تبني أفرادا قادرين على الإسهام بفاعليّة في تقدّم المجتمع وتحقيق التنمية المستدامة وذلك ما حاولت بيانه في هذه الورقات العلمية.

كلمات مفتاحية: التربية/ الأسرة / القيم/ العمران

**Abstract:**

Family education is the mainstay of building the communities in which urbanization is built, as it is the first school of upbringing on religious, cognitive, social and economic values... Basic skills for individual development, strong personality formation and qualification for effective participation in community building education is a process rather than a great illiteracy in nurturing virtuous values, Reforming a nation is not only by eradicating evils, but by raising generations' good values and thus elevating them to the true standard of humanity. Well-founded education therefore plays an essential role in the development of the values of honesty, justice, respect, cooperation and responsibility of the individual, thus promoting tolerance and peaceful coexistence in society. Education promotes the acquisition of communication and communication skills, problem solving, decision-making and critical thinking necessary for success in personal and professional life. Through the development of these values and skills, education can build individuals capable of effectively contributing to society's progress and achieving sustainable development.

**Keywords**: Education/Family/Values/Urban

**مقدمة**

اهتم القرآن الكريم اهتماما كبيرا بالأسرة، من خلال الآيات الكثيرة التي تناولت موضوعها، بجوانبها المختلفة، حيت اختص الله سبحانه وتعالى بتنظيم العلاقة بين أفرادها، باعتباره العالم بكيفية تنظيمها حتى تحقق الاستخلاف المنشود في الأرض، سواء على المستوى التشريعي أو السلوكي والأخلاقي، حيث فصّل في شأنها في القرآن الكريم تفصيلا دقيقا، ولم يترك معه مجالا كبيرا للاجتهاد البشري، لأن حفظ الأسرة حفظ لمقاصد الشريعة وتوجيه لمسار العمران وتحقيق للاستخلاف في الأرض.

ولذلك انطلقت في البحث من الاشكالية التالية: إلى أي حد يمكن تحقيق العمران المتجلي في إعمار الأرض بالعمل الصالح بالتربية الأسرية السليمة من خلال القرآن الكريم؟

وللإجابة على هذا الاشكال اعتمد البحث المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي بما يشتمل عليه من إحصاء ومقارنة، وذلك لبناء صورة على الأسرة ودورها في العمران من خلال القرآن الكريم.

**المبحث الأول: مفهوم الأسرة في اللغة والاصطلاح.**

إن المتتبع للمعاجم اللغوية يجد أن لفظ أسرة يرجع للجذر اللغوي أسر وسر كما سنرى بإذن الله تعالى، وأبدأ بصاحب المقاييس حيث يقول في مادة سر.

السين والراء يجمع فروعه إخفاء الشيء. وما كان من خالصه ومستقره، لا يخرج شيء منه عن هذا، فالسر: خلاف الإعلان. يقال أسررت الشيء إسرارا، خلاف أعلنته. ومن الباب السر، وهو النكاح، وسمي بذلك لأنه أمر لا يعلن به.[1]

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري قوله في المادة: وأما الذي ذكرناه من محض الشيء وخالصه ومستقره، فالسر: خالص الشيء. ومنه السرور ; لأنه أمر خال من الحزن. والسرة: سرة الإنسان، وهو خالص جسمه ولينه. ويقال قطع عن الصبي سرره، وهو السر، وجمعه أسرة. وسره: أجوده. ومن الباب الأول سر النسب، وهو محضه وأفضله. وقال الأصمعي السرية من السر، وهو النكاح ; لأن صاحبها اصطفاها للنكاح لا للتجارة فيها.

وقال أيضا في مادة أ س ر

[1] مقاييس اللغة لابن فارس باب سر.

يقال: حلّ إساره فأطلقه وهو القيد الذي يؤسر به. وتقول: من تزوج فهو طليق قد استأسر، ومن طلق فهو بغاث قد استنسر. وقد أسر فلان. وهم رهطي وأسرتي. وتقول: ما لك أسرة، إذا نزلت بك عسره. ومن المجاز: شد الله تعالى أسره أي قوى إحكام خلقه، من قولهم: ما أحسن ما أسر قتبه، وهو أن يربط طرفي عرقوبي القنب برباط.[2] وهو في سرّ النسب: محضه. وواعدها سراً: نكاحاً. والتقى السران: الفرجان.[3]

وأسرة الرجل: عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم. وفي الحديث: زنى رجل في أسرة من الناس؛ الأسرة: عشيرة الرجل وأهل بيته[4].

يتبين من خلال ما سبق أن أغلب معاني لفظ أسر وسر تعود إلى إخفاء الشيء، والإخلاص، والاستقرار، والربط والإحكام، والنكاح، والزواج، وكلها معاني يكمل بعضها البعض لتعطينا مفهوم الأسرة بمعناه المعاصر.

**المبحث الثاني: الأسرة في القرآن الكريم**

لم يرد لفظ الأسرة في القرآن الكريم بمعناه الحالي، إنما بمعنى القبض والإمساك والإحكام يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا)، ( الأنفال: 69). والأسير هو من أخذ في الحرب وقبض عليه .

وقال أيضا (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا) ( الإنسان: 27.) والمقصود هنا إحكام الخلق وإحسانه، يقول الإمام الطبري رحمه الله: "نَحْنُ خَلَقْنَا هؤلاء المشركين بالله المخالفين أمره ونهيه(وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ): وشددنا خلقهم، من قولهم: قد أُسِر هذا الرجل فأُحسِن أسره، بمعنى: قد خلِقَ فأُحسِن خَلْقه"[5].

والمتتبع لهذه المادة في القرآن الكريم لن يجد مصطلح الأسرة بمعناه المعاصر، وإنما ورد ذكر مقوماتها وأركانها كما تحدثت عن ذلك الباحثة جميلة تلوت في كتابها الأسرة في التصور القرآني: حيث قالت: "يمكن الحديث عن مفاهيم الأسرة في إطار حقول دلالية متشابكة ومتعالقة:

حقل الزوجية ويتكون من: الزوج – امرأة – بعل...

---

[2] أساس البلاغة، للزمخشري، باب أسم

[3] أساس البلاغة باب س ر ع.

[4] لسان العرب لابن منظور فصل الألف.

[5] تفسير الطبري:، ج24، ص 117.

حقل الأبوة: أب – أم – والد – والدة – الوالدين ...

حقل الذرية: أولاد – درية – بنات– بنون/ بنين وحفدة...

حقل القرابة: أعمام – عمات – أخوال – خالات – أرحام...

وتداخل هذه الحقول يعطينا " الأهل/الآل"، وكثرة الأهالي تعطينا العشيرة."[6]

**المبحث الثالث: العمران في اللغة والاصطلاح.**

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله في هذه المادة: "عمر: العمر: ضرب من النخل وهو السحوق الطويل... والعمر عمر الحياة. وقول العرب: لعمرك، تحلف بعمره، وتقول: عمرك الله أن تفعل كذا. هذا إن تحلفه بالله، أو تسأله طول عمره. عمر الناس وعمرهم الله تعميرا. وتقول: إنك عمري لظريف. وعمر الناس الأرض يعمرونها عمارة، وهي عامرة معمورة ومنها العمران. واستعمر الله الناس ليعمروها. والله أعمر الدنيا عمرانا فجعلها تعمر ثم يخربها. والعمارة: القبيلة العظيمة."[7]

ويقول ابن فارس رحمه الله: "العين والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على بقاء وامتداد زمان، والآخر على شيء يعلو، من صوت أو غيره.

فالأول العمر وهو الحياة، وهو العمر أيضا. وقول العرب: لعمرك، يحلف بعمره أي حياته. فأما قولهم: عمرك الله، فمعناه أعمرك الله أن تفعل كذا، أي أذكرك الله، تحلفه بالله وتسأله طول عمره. ويقال: عمر الناس: طالت أعمارهم. وعمرهم الله - جل ثناؤه - تعميرا.

ومن الباب عمارة الأرض، يقال عمر الناس الأرض عمارة، وهم يعمرونها، وهي عامرة معمورة. وقولهم: عامرة، محمول على عمرت الأرض، والمعمورة من عمرت. والاسم والمصدر العمران: واستعمر الله - تعالى - الناس في الأرض ليعمروها. والباب كله يؤول إلى هذا."[8]

وجاء في اللسان: "الخراب: ضد العمران والتخريب: الهدم."[9]

---

[6] الأسرة في التصور القرآني: جميلة تلوت، ص 24-25.

[7] كتاب العين للفراهيدي، باب العين والراء والميم معهما

[8] مقاييس اللغة باب عمر

[9] لسان العرب فصل الخاء المعجمة

وجاء في المعجم الوسيط: "(العمران) البنيان وما يعمر به البلد ويحسن حاله بوساطة الفلاحة والصناعة والتجارة وكثرة الأهالي ونجح الأعمال والتمدن يقال استبحر العمران والعدل أساس العمران وعلم العمران (عند ابن خلدون) علم الاجتماع."[10]

ويقول طه جابر العلواني: "العمران الذي" يقوم على إعمار الكون وإحياء مواته، والاستفادة من كل ما أتاحه التسخير الإلهي من النعم الظاهرة والكامنة فيه، وجعل كل شيء فيه داخلا في دائرة التسبيح لله سبحانه ... الفعل الذي ينطلق من التوحيد، ويدل على قوته ومتانته في ضمير الإنسان، ويكون في الوقت نفسه منبثقا من نفس إنسانية مزكاة، وتكون غايته ونتيجته متصلة بدائرة العمران، وتصب فيها".[11]

أما تومي اسماعيل فعرفه في كتابه العمارة والعمران في ظلال القرآن بقوله: "هو إسكان في منطقة معينة، لهدف معين، يتطور مع الزمن إلى اجتماع بشري، يسوده الأمن و يتوفر على أسباب المعيشة."[12]، وهو التعريف المستنبط من دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله سبحانه وتعالى: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (الرعد: 36)

**المبحث الرابع: العمران في القرآن الكريم.**

وردت مادة (ع م ر) في القرآن الكريم بمشتقاتها المختلفة 37 مرة، بمعاني مختلفة حسب سياق ورودها، فأحيانا تردع في سياق الحديث عن عمر الإنسان قبل موته وهو المعنى الذي ظهر بوضوح في الآيات الآتية، قال تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) (البقرة: 94-95)

وقال تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (فاطر: 10).

---

[10] المعجم الوسيط باب العين.

[11] العلواني طه جابر، تطور المنهج المقاصدي عند المعاصرين، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2012 م، ص42

[12] تومي اسماعيل، العمارة والعمران في ظلال القرآن، ص 15.

وقال الحق عز وجل: (وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) (القصص: 44).

ويأتي كذلك في سياق في استثمار موارد الأرض للعيش والحياة وفي هذا يقول تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ عَمَرُوهَا) (الروم:8)

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: " أولم يسر هؤلاء المكذّبون بالله، الغافلون عن الآخرة من قريش في البلاد التي يسلكونها تجارا، فينظروا إلى آثار الله فيمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة، كيف كان عاقبة أمرها في تكذيبها رسلها، فقد كانوا أشدّ منهم قوّة، (وَأَثَارُوا الأرْضَ)، يقول: واستخرجوا الأرض، وحرثوها وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء، فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلهم، فلم يقدروا على الامتناع، مع شدّة قواهم مما نزل بهم من عقاب الله، ولا نفعتهم عمارتهم ما عمروا من الأرض، إذ (جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِنَاتِ) من الآيات، فكذّبوهم، فأحلّ الله بهم بأسه، (فَمَا كَانَ الله لِيَظْلِمَهُمْ) بعقابه إياهم على تكذيبهم رسله، وجحودهم آياته، (وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بمعصيتهم ربهم"[13].

نستنتج من تفسير هذه الآيات أن عمارة الأرض من طرف كل جيل مبنية على الاستفادة ممن سبقه معززا الإيجابيات ومتجاوزا الأخطاء التي يمكن أن تخرب ما عمره وبناه.

كما يأتي في سياق الحفاظ على الصلاة في المسجد وإعماره بذكر الله تعال، قال تعالى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ.) (التوبة: 17)

نلاحظ هنا ربطه تعالى فعل التعمير بالمسجد وهو مكان أداء الركن الأساسي من العبادة، التي من أجلها خُلِقَ الإنسان، وأن إعمار المسجد الذي يعتبر مركز اشعاع للحضارة الإسلامية في مجال العمران أساسه الإيمان، ولذلك ابتدأت الآية بأسلوب الحصر، فعمار المساجد لا شك أنهم من عمار الأرض بالعمل الصالح، ومسألة الإيمان باليوم الآخر هنا في غاية الأهمية، لأنها تربط الإنسان بالحساب يوم القيامة؛ وبالتالي يحرص على الاجتهاد في اتقان العمل الذي يساهم في عمارة الأرض على الوجه المطلوب.

كما يأتي العمران في القرآن الكريم بمعنى الاستخلاف، يقول تعالى: (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ.) (هود: 31)

---

[13] تفسير الطبري، ج 20، ص 78.

والاستخلاف هو أن الله" أناب الجماعة البشرية في الحكم وقيادة الكون واعماره اجتماعيا وطبيعيا وعلى هذا الأساس تقوم نظرية حكم الناس لأنفسهم وشرعية ممارسة الجماعة البشرية الحكم بوصفها خليفة عن الله والخلافة؛ هي تكليف إلهي للإنسان ليباشر مهمة الإعمار والبناء في الأرض وفق إرادة الله لتتحقق بذلك العبودية الكاملة لله في هذا الكون[14].

من خلال ما سبق يتبين أن مادة عمر في القرآن الكريم كما في اللغة تتحد في الحياة التي يعيشها الإنسان، والبناء، والإقامة والسكنى، والاستخلاف...

**المبحث الخامس: مكانة الأسرة في التصور القرآني وعلاقة ذلك بالعمران.**

إقامة الأسرة هو في حد ذاته هو البداية في القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض لأنها عمران إنساني واجتماعي، وهي المرتكز الذي يقوم عليه العمران وأساسه، فالأسرة هي كل شيء، فيها يصنع الإنسان وبها يبنى العمران، ولذلك أولاها القرآن الكريم الحظ الأوفر والمساحة الأوسع من تشريعاته، تفصيلا وتبيينا لأدق أحكامها، كما بينت السنة النبوية الشريفة تفاصيل وأحكام أخرى لها علاقة بتنظيم الأسرة والحفاظ على استقرارها، لأن سلامة الأسرة يعني سلامة حاضر ومستقبل الإسلام والمسلمين ومجتمعاتهم، بل والبشرية بصفة عامة، وأن خرابها خراب لذلك جميعا قال تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) (الأعراف: 189).

كما تعتبر الأسرة اللبنة الأولى في بناء العمران، وهي الخلية الأساسية في المجتمع، وأهم جماعاته الأولية قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) (النساء:1). وهي المؤسسة الرئيسية المسؤولة عن صلاح المجتمع والأمة، ونجاحها واستقرارها يسهم في أمن المجتمع، فيكثر فيه الإنتاج والفعالية والحب والتعاون والتكافل، وكل قيم الخير والصلاح، فيحفظ للناس حقوقهم الاجتماعية والتربوية، وذلك بالعمل على تربية الأبناء تربية صالحة، مبنية على أسس علمية من خلال تكوين المقبلين على الزواج، في كل ما يخص العلاقة الزوجية وتربية الأطفال تربية رصينة، وكيفية التعامل معهم في مختلف مراحل النمو، حتى نحصل في النهاية على الولد الصالح لذاته ولأسرته وللمجتمع، وهذا ما جعل الشارع الحكيم يسند مهمة رعاية الأبناء إلى والديهم، بحكم الاستعداد الفطري الذي أودعه الله في الآباء، ما يدعوهم إلى الاعتناء بهم وحسن تربيتهم وتمتعيهم بكل الحقوق التي تشمل كل مجال من

---

[14] زرمان محمد، وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم ودلالتها وأبعادها الحضارية، حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، - 1998م، العدد السادس عشر، جامعة قطر، ص 198.

حياتهم دون إفراط ولا تفريط، والحفاظ على الفطرة السليمة فطرة الإسلام التي فطر الله تعالى عليها الإنسان، فليس الهدف من الزواج إنجاب الأطفال ثم تركهم للضياع وعدم تحمل مسؤوليتهم، بل المقصود من الزواج تزويد الحياة بعناصر الإعمار، وتزويد المجتمع بمواطنين صالحين لخدمة المجتمع والوطن في كل مجالات الحياة، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بصلاح الأسرة وتشبتها بقيم الإسلام، قال تعالى: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ) (الرعد: 23).

ولتحقيق هذا المقصد شدد الإسلام في شروط ومقومات بناء الأسرة كما سنرى في المبحث التالي:

**المبحث السادس: شروط ومقومات استقرار الأسرة لتحقيق العمران المنشود.**

- ✓ حسن الاختيار الزوج للزوجة والرضا بقبول بعضهما البعض مع التوافق بينهما في المشاعر والتصورات والميولات، ولذلك وجه الرسول صلى الله عليه وسلم الزوجة لاختار الزوج بناء على الدين والخلق، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض.)[15] نلاحظ في هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم جمع بين الدين والخلق، لأنه يمكن أن يكون الإنسان متصفا بالدين في شق العبادات، ولكنه في جانب المعاملات لا يتصف بحسن الخلق، وهذا الأخير بما فيه من صدق ووفاء وثقة ومسؤولية ... ضروري لبناء أسرة مستقرة تساهم في تحقيق العمران، كما بين النبي صلى الله عليه وسلم أن رفض من توفرت فيه شروط الزوج الصالح يعني الفساد العريض، وبدليل المخالفة فقبوله معناه التأسيس لأسرة صالحة مصلحة مساهمة في العمران.

ونفس الأمر وجهه الرسول صلى الله عليه وسلم للزوج الراغب في الزواج، حيث بين له ما تميل إليه النفس في اختيار الزوجة، من مال وحسب وجمال والدين، فأمر الزوج لاختيار صاحبة الدين لعلمه صلى الله عليه وسلم أن أساس العمران الدين أولا، لأن المال بلا دين قد يكون سببا للخراب، وفي هذا يقول عليه السلام: (تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك.)[16] يقول مصطفى البغا في تعليقه على هذا الحديث فاظفر من الظفر وهو غاية البغية ونهاية المطلوب. (تربت يداك) هو في الأصل دعاء. معناه لصقت يداك بالتراب أي افتقرت ولكن العرب أصبحت تستعمله للتعجب والحث على الشيء وهذا هو المراد هنا[17].

---

[15] سنن الترمذي، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه

[16] صحيح البخاري، باب الأكفاء في الدين

[17] صحيح البخاري، شرح وتعليق مصطفى ديب البغا، ج7، ص7.

- ✓ المعاشرة بالمعروف بين الزوجين والأولاد على أساس الود والرحمة والاحترام المتبادل، والبعد عن كل السلوكات المستفزة التي تسبب النفور والمشاكل. قال تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (النساء: 18). وفي تفسير هذه يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: " أي: طيّبُوا أقوالكم لهن، وحَسّنُوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)، البقرة:228، وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطّف بهم، ويوسّعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودّد إليها بذلك. قالت: سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته، وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فسبقني، فقال: "هذِهِ بتلْك"[18] ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها. وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام، يؤانسهم بذلك صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب: 21).
- ✓ التعاون على تربية الأولاد تربية سليمة واعتبار ذلك مسؤولية نحاسب عليها أمام الله تعالى فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته.)[19]
- ✓ اهتمام الوالدين بالأمور الدينية وتمثلها وتربية الأبناء عليها باعتبارها الأمن الروحي الذي يحفظ كل الأفراد من الضياع والانحراف. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (التحريم: 5).
- ✓ التعاون بين أفراد الأسرة اقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام مع أهله، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وأنا خَيْرُكُم لأَهْلي.)[20]
- ✓ مشاركة كل طرف للآخر في حالات الفرح والحزن، قال تعالى: (وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ.) (الروم: 19)

---

[18] رواه النسائي في السنن الكبرى برقم (8942)

[19] صحيح مسلم، باب فضيلة الإمام العادل.

[20] رواه ابن ماجة في السنن برقم (1977)

- ✓ الحفاظ على الاستقرار النفسي والاجتماعي للأسرة: وذلك باستخدام أسلوب الحوار في تدبير الخلافات والبعد عن العنف والجدال المذموم، فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الكلمة الطيبة صدقة.)[21] فالكلمة الطيبة مع العموم صدقة، لما لهما من آثار إيجابية على النفوس تشجعهم وتحفزهم على العمل، فكيف إذا كانت من عادات الأسرة؟
- ✓ معرفة كل فرد داخل حقوقه وواجباته وانخراط الجميع في تحقيق النجاح للأسرة عن طريق التشاور والحوار وتحمل المسؤولية. قال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ.) (البقرة:228)
- ✓ توافر دخل مناسب للأسرة يكفل أفرادها مستوى معيشيا مناسبا يؤمن احتياجاتهم الأساسية لضمان قسط من الرفاهية والطمأنينة والسعادة لأن انعدام المال يشجع على ارتكاب الجرائم مما يؤدي إلى تهديد استقرار الأسرة والمجتمع وسلامتهما. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك.)[22]

تلك بعض شروط ومقومات استقرار الأسرة، فإذا تحقق معظمها كان ذلك مؤشرا على صلاح المجتمع وبالتالي تحقيق العمران المنشود.

**خاتمة**

---

[21] صحيح البخاري، باب طيب الكلام.

[22] صحيح مسلم، باب فضل النفقة على العيال.

إن الأسرة في العصر الحالي تعيش تخبطا يصعب التحكم في مآله ومصيره، وتحديات كبيرة تفرضها العولمة عبر وسائل الاتصال الحديثة المنحازة لثقافة الانحلال والتفسخ، الشيء الذي انعكس سلبا على مقومات تماسك الأسرة، وأدى إلى اهتزاز قيمها، وجعلها عرضة للتمزق والانشقاق، ولذلك لابد من الرجوع إلى المصادر الرئيسية في بناء أسرة قادرة على تحقيق العمران، من خلال ما يلي:

- ✓ الالتزام بمقومات وشروط بناء الأسرة العمل بتوجيهات الشارع الحكيم في بنائها.
- ✓ توعية الناس ذكورا وإناثا بأدوارهم ومهامهم داخل الأسرة لأن الجهل بها يؤدي إلى فساد الأسرة وبالتالي خراب العمران.
- ✓ إعداد برامج إعلامية تحسيسية وتوعوية قيمية تهدف إلى تثقيف الأسر وتوعيتها وإرشادها، وتقديم المساعدات المناسبة لمعالجة بعض المشاكل التي تواجهها.
- ✓ وضع برامج مدرسية مختصة بالأسرة على نحو ينمي المفاهيم الأسرية الصحيحة ويربي المتعلمين والمتعلمات على القيم التي ينبغي أن تتمثلها الأسر.
- ✓ تنظيم دورات تدريبية وورشات تكوينية لفائدة الأزواج والأبناء بهدف إطلاعهم على الحياة الأسرية والأدوار المنوطة بكل عنصر وتعريفهم بمتطلبات تأسيس علاقة زوجية ناجحة.
- ✓ فتح المجال أمام جمعيات المجتمع المدني للتوعية بوظائف الأسرة، وكيفية تنظيم الحياة العائلية، وتقديم حلول مناسبة للصعوبات والمشاكل والأزمات الأسرية المختلفة...

**المصادروالمراجع**


- ✓ القرآن الكريم
- ✓ سنن ابن ماجة.
- ✓ سنن الترمذي.
- ✓ صحيح البخاري.

صحيح مسلم.

- ✓ أساس البلاغة، للزمخشري
- ✓ الأسرة في التصور القرآني: جميلة تلوت.
- ✓ تفسير الطبري.
- ✓ تومي اسماعيل، العمارة والعمران في ظلال القرآن.
- ✓ زرمان محمد، وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم ودلالتها وأبعادها الحضارية، حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، 998 - م، العدد السادس عشر، جامعة قطر.
- ✓ العلواني طه جابر، تطور المنهج المقاصدي عند المعاصرين.
- ✓ كتاب العين للفراهيدي.
- ✓ لسان العرب لابن منظور.
- ✓ المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية.
- ✓ مقاييس اللغة لابن فارس.

مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

# منهاج مادة التربية الإسلامية وإشكالات الاشتغال الديداكتيكي

د. خالد البورقادي[1]
elbouraqadik@gmail.com

**ملخص:**

يهدف هذا البحث إلى رصد أهم الإشكالات الديداكتيكية التي تواجه الأساتذة في تنزيلهم لمنهاج المادة المعدل في يونيو2016، حيث وقفت الدراسة على أهمها: إشكال التضخم المعرفي في المنهاج المعدل، وإشكالية توظيف الكتاب المدرسي، وما يرتبط به من ممارسات الأساتذة في الفصول الدراسية، ثم إشكالية بناء المفاهيم في علاقتها بمفردات المنهاج، وكذلك إشكالية تدريس القيم وتقويمها؛ لتقترح الدراسة بعض الخطوات الإجرائية لتجاوز بعض هذه الإشكالات لعل صانعي القرار التربوي يأخذوا بها في أي تعديل مرتقب تجويدا لتدريسية مادة التربية الإسلامية.

**الكلمات المفاتيح:**

منهاج - التربية الإسلامية -الاشتغال الديداكتيكي

[1] دكتوراه في أصول الفقه ومناهج التدريس - مفتش ممتاز لمادة التربية الإسلامية، وزارة التربية الوطنية-المغرب

Dr. KHALID EL BOURAQADI[2]

elbouraqadik@gmail.com

**summary**

This research aims to monitor the most important didactic problems facing teachers in their application of the revised subject curriculum in June 2016. The study identified the most important of them: the problem of cognitive inflation in the revised curriculum, the problem of employing the textbook, and the associated practices of teachers in the classroom, then the problem of constructing Concepts in their relationship to curriculum vocabulary, as well as the problem of teaching and evaluating values;

To suggest studying some procedural steps to overcome some of these problems, perhaps the makers of the supervisory interactions will allow them in any expected amendment to improve the teaching of the Islamic education subject.

**Keywords**

The curriculum-Islamic education-Didactic work

[2] Doctorate in jurisprudence and teaching methods--Excellent inspector of Islamic education, Ministry of National Education-Morocco

**تقديم:**

عرف منهاج مادة التربية الإسلامية عملية مراجعة نهاية موسم 2016؛ ففي سرعة قياسية عكفت لجن المراجعة على إعداد منهاج جديد صدر في يونيو 2016، لتتلوها عملية تأليف الكتب المدرسية في مختلف الأسلاك الثلاث بقطاع التربية الوطنية: الابتدائي والثانوي الإعدادي، والثانوي التأهيلي. فبدأت الكتب المدرسية في الظهور منذ شهر أكتوبر 2016 بشكل بطيء جدا: السلك الابتدائي ثم السلك الثانوي الإعدادي؛ لتتأخر كتب السلك الثانوي التأهيلي إلى منتصف نونبر من السنة نفسها. هذا علاوة على الإشكالات المرتبطة بتوزيع الكتاب المدرسي ووصوله إلى جميع التلاميذ المغاربة في مختلف أنحاء البلاد.

رغم كل ذلك بذل أساتذةُ المادة ومفتشُوها الوسعَ في الحفاظ على انطلاقة طبيعية للموسم الدراسي(2016-2017) حيث عمل الكثير من أساتذة المادة على الاشتغال الصفي انطلاقا من مفردات المنهاج التي حددتها الوثيقة في غياب تام للكتاب المدرسي والوثائق الأخرى المصاحبة.

ومع استكمال صدور الكتاب المدرسي والوثائق المنهاجية الأخرى: الأطر المرجعية الجديدة ومذكرات المراقبة المستمرة بالأسلاك الثلاث، تكون حلقات منهاج المادة قاربت الاكتمال رغم تأخر صدور التوجيهات التربوية الخاصة بالمادة لحد الساعة.

وحسب وثيقة منهاج المادة فقد انصبت عملية المراجعة على المضامين والمحتويات مقارنة بالمنهاج السابق؛ وحافظ المنهاج الجديد على نفس المنطلقات والمرجعيات الشرعية والبيداغوجية[3]. ومن خلال مسايرة وتتبع عملية المراجعة منذ بدايتها؛ ثم انطلاقا من مهام التفتيش والمراقبة التربوية الميدانية تم الوقوف على عدة إشكالات ديداكتيكية مرتبط في بعضها بالمنهاج الجديد. فما أهم هذه الإشكالات الديداكتيكية؟ وكيف يمكن اقتراح بعض الحلول الإجرائية لتجاوزها؟

[3] - الباحثُ بصدد إعداد دراسة نقدية مقارنة للمنهاج الجديد مع المنهاج السابق؛ يسر الله إتمامها.

**1- إشكال التضخم المعرفي في المنهاج الجديد:**

اعتمد المنهاج الجديد خمسةَ مداخل في بنائه: مدخل التزكية وتضم القرآن الكريم والعقيدة؛ مدخل الاقتداء؛ مدخل الاستجابة؛ مدخل القسط؛ مدخل الحكمة. حيث نجد مجموع الدروس الموزعة على المداخل الخمس ستة وعشرين درسا: عشرون درسا موزعة على العقيدة والاقتداء والاستجابة والقسط والحكمة؛ وستة دروس خاصة بالسورة القرآنية المخصصة في كل مستوى[4]. في حين نجد المنهاج السابق يضم اثنتا عشر درسا فقط موزعة على دورتين: ستة دروس في كل دورة وفق التناول الذي كان مقررا: درس نظري- درس تطبيقي – درس الأنشطة[5].

| عدد الدروس في المنهاج القديم بكل مستوى بالسلك الثانوي التأهيلي | عدد الدروس في المنهاج الجديد بكل مستوى بالسلك الثانوي التأهيلي |
|---|---|
| اثنا عشر(12) درسا؛ كل درس يقدم على شكل: حصتين نظريتين؛ حصة تطبيقية؛ وحصتين للأنشطة مرتبطة بالدرس وتخدم أهدافا وكفاية معينة | ستة وعشرون (26) درسا؛ كل درس يقدم في حصتين؛ تستغرق الحصة ساعة واحدة |

لذلك نعتبر أن المنهاج الجديد للمادة وإن تحدث عن **وظيفية المعرفة**؛ إلا أنه لم يُفَعِّل ذلك عمليا فيما ذهب إليه من اختيار المحتويات والمضامين. فنجد تضخما معرفيا وزخما في المعلومات والمعرفة الشرعية قد لا يسعف الغلاف الزمني السادة الأساتذة –في غالب الأحيان- من **ممارسة نقل ديداكتيكي** سليم وغير مشوه على المعرفة الشرعية.

فمن الأسس والمرجعيات التي اعتمدها المنهاج الجديد في الجانب البيداغوجي:

---

[4] - وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني؛ مديرية المناهج؛ **منهاج التربية الإسلامية بسلكي التعليم الثانوي الإعدادي والتأهيلي العمومي والخصوصي**، يونيو 2016 ص: 21.

[5] - كان الدرس الواحد في المنهاج السابق يُقدم في خمسِ حصص: حصتان نظريتان، حصة تطبيقية، حصتان للأنشطة، ولم يكن الأساتذة يعانون من ضغط الوقت، وإكراه تدبير الغلاف الزمني للحصة.

"اقتراح وضعيات تقويمية تقيس درجات تحقق الأهداف التعلمية ونمو الكفايات، **مع ضرورة الانتقال من مركزية المعرفة والهدف التعلُّمي إلى وظيفية كل منهما**"[6]. فكيف تتحقق وظيفية المعرفة في ظل الكم والزخم المعرفيين مع ضيق الغلاف الزمني الخاص بالمادة؟ وكيف تسلم عملية النقل من التشوهات والاختزال في سياق تضخم معرفي ومدة زمنية ضيقة؟

وتزدادُ الصعوبة التي تواجه الأستاذ أثناء اشتغاله الديدكتيكي حينما يُدَرس الأقسام والشعب العلمية للسنة الثانية بكالوريا؛ التي لا يستفيد تلامذتها إلا من ساعة وحيدة يتيمة في الأسبوع رغم تنصيص الوثيقة على استفادة التلميذ المغربي من حصتين في الأسبوع كل حصة تستغرق ساعة واحدة! فأي نوع من المقاربة الديداكتيكية سيعتمد الأستاذ؟ كيف يقدم لتلاميذ المسالك العلمية هذه المفاهيم الشرعية في ساعة واحدة فقط؟ فإذا ما اقتصر على تقديم محور واحد من الدرس فالمفهوم يقدم حينئذ بشكل مشوه وغير مكتمل، وإذا عمل على تلخيص الدرس بمحاوره في الحصة الواحدة المقررة فإن ذلك اختزال مبتذل للمعرفة الشرعية ونقل ديداكتيكي مشوه.

تبعا لذلك؛ انعكس الكمُّ المعرفي على تأليف الكتاب المدرسي الجديد؛ خاصة بالسلك الثانوي التأهيلي؛ فجاء الكتابان المدرسيان: منار التربية الإسلامية وفي رحاب التربية الإسلامية بالسلك الثانوي التأهيلي زاخرين بكم هائل من المعارف والمعلومات مما يعوق البناء السليم للمفاهيم الشرعية. فالأصل أن المعرفة وظيفية وليست مقصودة لذاتها.

## 2- إشكالية توظيف الكتاب المدرسي:

إن الكتاب المدرسي يعد الأداة الرئيسة لتصريف المنهاج التربوي؛ إذ هو آلية من أهم الآليات الأساسية في العملية التعليمية التعلمية؛ كما أنه أداة موضوعة رهن إشارة المدرسين والمدرسات لأداء مهامهم وفق ضوابط محددة ومنهجية؛ وهو المرجع الأساسي للمتعلم والمدرس على السواء، عليه يعتمدان وإليه يرجعان؛ فهو ينظم المعرفة المعدة للتدريس وفق الأهداف المسطرة للمنظومة والمواصفات المطلوبة للمتعلم. وقد دأبت الممارسة التعليمية على اعتماد الكتاب المدرسي رغم أنه خاص بالتلميذ؛ إلا أن واقع الاشتغال كرس مركزية الكتاب المدرسي، وجعل بعض المدرسين يرتبطون به بشكل خطي لا يفارقونه.

---

[6] - وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني؛ مديرية المناهج؛ **منهاج التربية الإسلامية بسلكي التعليم الثانوي الإعدادي والتأهيلي العمومي والخصوصي**، يونيو 2016 ص: 6.

**تعريف الكتاب المدرسي:**

يذهب دولاندشير إلى أن الكتاب المدرسي مؤلف ديداكتيكي؛ تم إعداده لتعلم المعارف التي أعدت لبرنامج؛ أو إنه يشكل مضمون علم؛ أو مجموعة علوم محددة؛ يمكن استيعابها.(Landsheere,V,1992).

وعند Legendre: " هو كتاب مطبوع موجه إلى التلميذ. وقد تصاحبه بعض الوثائق السمعية- البصرية أو وسائل أخرى بيداغوجية؛ تعالج مجموع العناصر الهامة في مقرر دراسي للسنة أو لمجموع السنوات"7 .

أما الأستاذ أحمد أوزي فيعرفه قائلا: " يطلق مصطلح الكتاب المدرسي على نوع خاص من الكتب أعدت خصيصا لتكون في متناول المتعلمين؛ كما تدل على ذلك لفظة (Manuel ) الفرنسية، وهو يتناول ما يمكن معرفته حول موضوع أو مجموعة مواضيع أو مادة معينة يقدمها بطريقة ميسرة للمتعلم"8.

فالكتاب المدرسي هو وثيقة وأداة مطبوعة ومنظمة وفق ضوابط بيداغوجية وديداكتيكية؛ موجهة للاستعمال في سيرورة تعلم وتكوين متفق عليه.

**الكتاب المدرسي آليةُ تصريف للمنهاج التربوي:**

يُعَبر المنهاج الدراسي curriculum عن جميع ما تقدمه المدرسة من الخبرات والمعارف والمهارات والكفايات للمتعلم تمكنه من الاندماج في المجتمع وتحقيق أهدافه، ويشير المنهاج أيضا إلى مجموع الأهداف والكفايات المرجوة من المنظومة التربوية ككل؛ ثم المحتويات والمضامين المراد تدريسها للمتعلمين مع الطرائق والوسائل والمقاربات البيداغوجية وآليات وأشكال التقويم على طول وعرض مستويات المنهاج.

---

7- **Dictionnaire actuel de l'éducation**. Guérin Montréal, Canada.2005

8- **المعجم الموسوعي الجديد لعلوم التربية** د. أحمد أوزي؛ ص: 347؛ منشورات مجلة علوم التربية العدد 42. طبعة 2016.

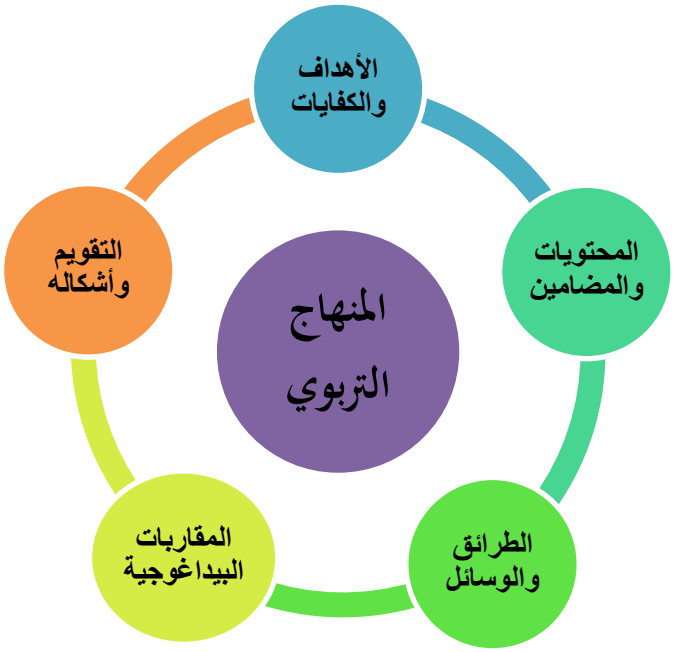


وبذلك يحيل مفهوم المنهاج على السيرورة التي تقطعها المعرفة الموظفة لتتحول من معرفة أكاديمية عالمة سابحة في الحقول الإبستمولوجية إلى معرفة معدة للتدريس من خلال تصريفها في الكتب المدرسية؛ ثم إلى معرفة مُدَرَّسة تُقدم للمتعلم في سياقات محددة وإيقاعات زمنية دقيقة؛ ثم معرفة مكتسبة من طرف المتعلمين يوظفونها في وضعيات مختلفة.

ويبقى الكتاب المدرسي هو القناة الرئيسة لتصريف المنهاج الدراسي(في الأنظمة التربوية التقليدية)؛ وهو يعد بمثابة تعاقد بين المدرس والمتعلمين وفق التوجهات الرسمية للوزارة.

وانطلاقا من هذا؛ فالكتاب المدرسي هو الوعاء الذي يشتمل على المادة التعليمية التعلمية؛ ويعكس أسس المنهاج المختلفة: الأساس الفلسفي لقيم المجتمع؛ الأساس السوسيو-اقتصادي؛ والأساس السيكولوجي؛ والأساس الاجتماعي الذي يتضمن الخصائص الحضارية والمقومات الثقافية للمجتمع.

بعد صدور وثيقة المنهاج الخاص بالمادة؛ اشتغلت لجان التأليف بوتيرة عالية في سباق مع الزمن من أجل إعداد الكتاب المدرسي وجاهزيته مع بداية الموسم 2017/2016، إذ لا شك أن عامل ضيق الوقت والضغط المصاحب له سيخصم من جودة الكتاب، وقد ظهر ذلك في:

- تضخم معرفي كبير لوحظ في الكتب المدرسية جملة بالسلكين الثانوي الإعدادي والثانوي التأهيلي؛
- نزعم أن الكتاب أُعد وفق **بيداغوجيا المضامين** وليس وفق **المقاربة بالكفايات**؛ التي تقتضي بناء علميا للمفاهيم؛ وانسجاما في تقديمها مع احترام المستوى العقلي والنفسي للمتعلمين؛ ثم من حيث الشكل: توظيف مختلف الدعامات البيداغوجيةles supports didactiques: الخرائط الذهنية- الجداول – الخطاطات- المبيانات- تنويع الوضعيات البنائية والتقويمية..
- في بعض الأحيان نجد **غياب الانسجام والتناغم ما بين الكتاب المدرسي والإطار المرجعي** للامتحانات الإشهادية؛ ففي السنة الأولى باكالوريا –مثلا- نجد في الكتاب المدرسي بشقيه: الرحاب والمنار في درس "صلح الحديبية وفتح مكة: دروس وعبر" ضمن مدخل الاقتداء؛ كل المضامين والمعارف منصبة على صلح الحديبية وسياقه ونتائجه؛ ولا حديث عن فتح مكة وأسبابه ونتائجه، بينما الإطار المرجعي نجد:

"صلح الحديبية وفتح مكة دروس وعبر:

صلح الحديبية: السياق والنتائج – فتح مكة: دواعيه ونتائجه – الحرية والسلام والتسامح والوفاء بالعهود من أسس انتشار الإسلام وبقائه"[9]. فالواجب قانونيا وديداكتيكيا أن يلتزم الأستاذ بما ورد في الإطار المرجعي فيضيف المفاهيم الغائبة في الكتاب المدرسي. فالإطار المرجعي من شأنه أن يقلص الفجوة بين الكتابية ويوحد التصور في الاشتغال الديداكتيكي بين السادة الأساتذة؛ مما يضمن إلى حد كبير تكافؤ الفرص بين المتعلمين في الامتحانات الإشهادية الجهوية.

- لوحظ وجود بعض **الأخطاء المعرفية والعلمية** في بعض الكتب المدرسية؛ فلا يقبل علميا أن تقدم المعرفة الشرعية ملتبسة وخاطئة في بعض الأحيان؛ ولا تعذر لجان التأليف في ذلك، فمن شرط المعرفة العلمية والمحتوى أن يكون صحيحا. وقد وقع هذا ببعض الكتب المدرسية بالسلك الإعدادي خاصة في قواعد التجويد والأداء؛ إذ قُدمت بعض التعاريف مشوهة

---

[9] - **الإطار المرجعي لاختبار الامتحان الموحد الجهوي للسنة الأولى من سلك البكالوريا مادة التربية الإسلامية-2016 جميع الشعب**؛ بتاريخ 21 نونبر 2016. ص: 4.

ومحرفة. أو أحيانا شرح بعض المفردات بشكل غير دقيق ولا علمي(مثال في كتاب المنار أولى باك: كوكبا: نجما).

- ركاكة في الأسلوب في بعض الأحيان؛ خاصة في طرح الأسئلة أثناء تحديد المضامين أو في التحليل والمناقشة أو في الوضعيات التقويمية المقترحة (مثلا في المنار ص: 15: ما معنى الساعة في هذا النص؟ مم تعتبر الساعة؟)..
- وجود تعسف كبير في لي أعناق بعض النصوص القرآنية ووضعها نصوصا مؤطرة لدروس المداخل انطلاقا من السورة؛ لكن مع بعد شاسع بينهما وغياب للخيط الرابط بين النصوص المقترحة والمفهوم المراد تدريسه. مثلا: في المنار ص: 16 نص الانطلاق الآية 100 من سورة يوسف والموضوع صلح الحديبية؟؟
- صياغة أهداف تعلمية للدرس بعيدة عن الواقعية والعلمية؛ فصياغة الأهداف علم ومهارة وصناعة أيضا؛ ومن شروط الأهداف التعلمية أن تكون قابلة للقياس، وواقعية، ومحددة، وفي زمن معين. فرغم اعتماد المقاربة بالكفايات؛ إلا أن الكفاية لا تتحقق في حصة أو حصتين أو درس ودرسين، فحينئذ نتحدث عن أهداف تعلمية للدرس يعمل الأستاذ على التعاقد بشأنها مع المتعلمين وتضبط اشتغاله الديداكتيكي واستثمار جيد للغلاف الزمني المخصص. لكن أحيانا نجد صياغة مضطربة للأهداف في الكتاب المدرسي؛ فمثلا في كتاب الرحاب ص: 54 في درس فقه الأسرة الطلاق: الأحكام والمقاصد ضمن مدخل الاستجابة، نجد الهدف الثاني للدرس: "أتمثل قيمة التسريح بإحسان في الطلاق الشرعي" فكيف للمتعلم في السنة الأولى بكالوريا أن يتمثل قيمة التسريح بإحسان في الطلاق؟؟ فهل هذا جهل بمفهوم التمثل ودلالاته؟ أم هي السرعة والعجلة وغياب الدقة في تحديد الأهداف؟

ومن ذلك أيضا في درس الزواج (مدخل الاستجابة) بكتاب المنار ص: 25 جاء في أسئلة التقويم والدعم: "أحدد القيم الأخلاقية والسلوكية المذكورة في المادة 51 من المدونة؛ وأبين مدى التزامي بها" فكيف لتلميذ الأولى بكالوريا أن يلتزم ببنود المادة 51 من المدونة ويبرهن على الالتزام بها؟؟

ومعلوم أن أهداف الدرس يجب الربط بينها وبين المحاور لبناء المفاهيم بطريقة سليمة وفق معايير وشروط المعرفة الشرعية. وهذا يتطلب مهارات عالية في النقل الديداكتيكي transposition didactique.

- بناء منهجي يعتريه بعض القصور: فتجد بعض الدروس في الكتاب المدرسي لم يتم بناؤها وفق تصور مفهومي دقيق(بناء متدرج وواضح للمفهوم)؛ ففي السنة الثانية بكالوريا في مدخل التزكية؛ العقيدة

نجد درس الإلحاد بين الحقيقة والوهم من كتاب المنار ص: 47؛ يتحدث عن الإلحاد وتعريفه وأنواعه وأسباب انتشاره وفلسفته؛ بينما الإطار المرجعي للسنة الثانية قدم الدرس كالآتي:

"مفهوم الإلحاد وحقيقته – أنماط الإلحاد وشبهاته – الكون شاهد على وجود الخالق (آيات الأنفس والآفاق)"[10]. في حين أن الهدف الرئيس من الدرس: اكتساب مهارة إثبات العقيدة ودحض أوهام الإلحاد؛ والاعتزاز بالإيمان بالله تعالى.

و من **الإشكالات الديداكتيكية** المرتبطة بتوظيف الكتاب المدرسي: التمثل السلبي الذي يحمله المدرس نحو الكتاب، فمن خلال المتابعة الميدانية في التفتيش والإشراف التربوي؛ لوحظ أن أغلبَ الأساتذة يرتبطون بالكتاب المدرسي بشكل خطي وبحَرْفية واضحة، رُغم أن الكتابَ خاص بالتلميذ؛ بينما الأستاذ يمكن أن يعدد موارده ومصادره في الإعداد والتحضير والتخطيط لدرسه وفق سيناريو بيداغوجي محتمل(استثمار الجذاذة بشكل وظيفي). ولا يخفى أن هذا الارتباط الخطي له نتائج سلبية على مستوى الاشتغال الديداكتيكي؛ من بينها:

- **الوقوع في التنميط والحَرْفية:** حيث لا يكاد المدرس يتجاوز ما هو مسطر في الكتاب المدرسي(مثلا في شرح المفردات يقتصر على ما هو مقترح في الكتاب؛ في حين حينما نتحدث عن شرح الغريب أو المفردات الصعبة فالمقصود بها التي تشكل عقبة في الفهم بالنسبة للمتعلم؛ صعبة بالنسبة له وليس بالنسبة للمدرس أولجنة تأليف الكتاب المدرسي). لوحظت عدة أخطاء في شرح بعض المفردات ( الفاسق: الغريب)
- **غياب الإبداع والحيوية في بناء التعلمات:** نتيجة التقيد بما هو مسطر في الكتاب المدرسي؛ في حين أن الأصل هو الإبداع والتجديد والبحث عن كل ما يخدم الأهداف التعلمية من الدرس.
- **اختلال التوازن في بعض الأحيان مع مستوى المتعلمين وسياق بناء التعلمات:** فهناك عدة متغيرات تؤثر في اكتساب التعلمات: مستوى المتعلمين-البيئة الفيزيقية-المكتسبات السابقة-المحيط الاجتماعي والسياق الثقافي..، مما يقتضي في كثير من الأحيان تكييف المعارف الواردة في الكتاب المدرسي مع مختلف المتغيرات بغية بناء سليم للتعلمات.

**3- إشكالية بناء المفاهيم الشرعية:**

مِنْ مداخل التدريس بالكفايات: مركزية المتعلم، التدريس بالوضعيات؛ التدريس بالمفهوم.

---

[10] - **الإطار المرجعي لاختبار الامتحان الموحد الجهوي للبكالوريا الخاص بالمترشحين الأحرار**. ص: 4.

**المفهوم المجرد:** فكرة أو مجموعة من الأفكار يكتسبها الفرد على شكل رموز أو تعميمات لتجريدات معينة أو هو معلومات منظمة عن خصائص أشياء أو حوادث أو عمليات تختلف عن أشياء أو خصائص أخرى، أو هو فكرة أوصورة ذهنية يكونها الفرد عن أشياء أو حوادث في البيئة.

**تشكل المفهوم:** تُبنى المفاهيم من:

- تصورات تحصل من خلال الحواس الخمس (السمع- البصر...)
- الذكريات والتخيلات (من نتائج الفكر الخيالي): إن أول أنماط المعرفة التي يكتسبها الطفل تنشأ من خبراته المباشرة التي يكتسبها عن طريق حواسه، ثم بعد ذلك يشكل صورا ذهنية لهاته المدركات التي تعامل معها حيث تتكون لديه مفاهيم لهاته المدركات. هذا وللخبرة التي يكتسبها المتعلمون دور كبير في تشكيل المفاهيم المجردة الصحيحة.

**أهمية تعلم المفاهيم:**

- تعلم المفاهيم يشكل قاعدة متقدمة في عملية التعلم؛
- تحديد المفاهيم في المستويات التعليمية المتتالية بشكل محوري يساعد على تطوير المناهج؛
- فهم مبادئ وأساسيات العلم أو المادة الدراسية يجعلها أكثر سهولة للتعلم؛
- فهم هذه المبادئ والأساسيات تزيد فاعلية التعلم وتنقل أثره لمواقف تعلمية جديدة؛
- تنظيم المادة في إطار هيكلي مفاهيمي يؤمن ضياعها ونسيانها بسهولة؛
- فهم أساسيات المادة ومبادئها والاحتفاظ بها من النسيان يسهل الانتقال من المعرفة السابقة للمتعلم إلى المعرفة اللاحقة له ويجعلها أمرا ممكنا؛
- المفاهيم تسهم في سهولة اختيار محتوى المنهاج الدراسي بحيث يكون المعيار الأساسي في اختيار المحتوى هو مدى علاقته في بناء المفاهيم واكتسابها وتعلمها؛
- لأنها تساعد المعلم والمتعلم على الفهم العميق لطبيعة المادة الدراسية؛ وبذلك يسهل تذكرها؛ كما تسمح مرونة المفاهيم على إضافة حقائق جديدة دون أن يطرأ أي خلل على جوهر العملية التعليمية التعلمية.

فإلى أي حد استجاب المنهاج الجديد للمادة لمسألة **التدريس بالمفهوم** في التربية الإسلامية؟

اعتمد المنهاج الجديد للمادة نظام المداخل الخمس في بناء المحتوى: مدخل التزكية-مدخل الاقتداء-مدخل الاستجابة- مدخل القسط – مدخل الحكمة، وهي هيكلة مناسبة لبناء شبكة مفاهيمية ممتدة عبر

الأسلاك الثلاث، خاصة وأنه في تاريخ مادة التربية الإسلامية ولأول مرة تتمكن المادة من تحقيق منهاج متصل غير منفصل؛ وفق رؤية موحدة وتصور شامل. لكن يبقى الإشكال الديداكتيكي هو مدى قدرة الأستاذ على التدريس بالمفهوم في ظل التضخم المعرفي الذي تحدثنا عنه آنفا. ثم أهمية تحديد المفاهيم المراد تدريسها بدقة حتى تسهل علمية التنفيذ والتدبير الديداكتيكي. لكن نجد بعض الضبابية في مجموعة من المفاهيم المقدمة في المنهاج الجديد:

- ✓ في مدخل القسط: "حق الله الوفاء بالأمانة والمسؤولية"[11] هل تقدم من خلال مفهومين منفصلين: الأمانة ثم المسؤولية أم مفهوما واحدا؟
- ✓ علاقة هذا المفهوم بالمفهوم الموالي في مدخل الحكمة: "الكفاءة والاستحقاق أساس التكليف" ما حدود الاتصال والانفصال بين المفهومين؟ خاصة وعند استقراء الكتاب المدرسي نجد تكرارا واضحا في هذين الدرسين.
- ✓ درس الهجرة إلى المدينة بالسنة الثالثة إعدادي ضمن مدخل الاقتداء وعلاقته بدرس الهجرة المتجددة ضمن مدخل الحكمة[12]

**4- إشكالية تدريس وتقويم القيم:**

من إيجابيات المنهاج الجديد أنه اعتمد قيمة مركزية وقيما ناظمة للمنهاج الجديد: التوحيد قيمة مركزية؛ وأربع قيم ناظمة: المحبة – الحرية- الاستقامة- الإحسان.

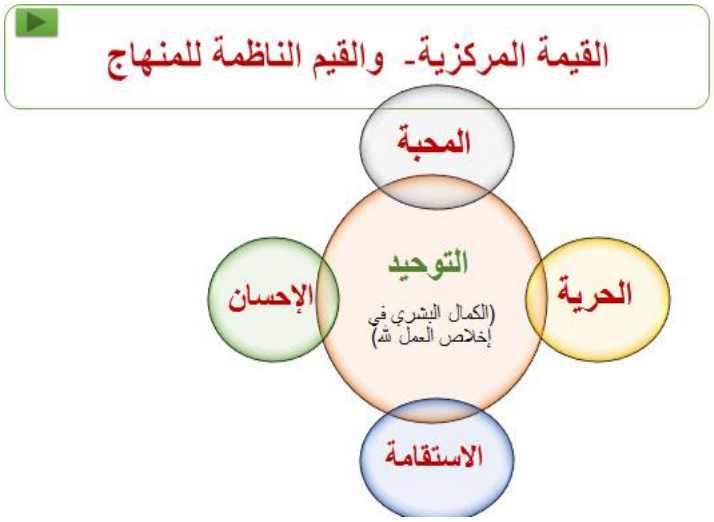


[11] - انظر كتاب السنة الأولى بكالوريا في رحاب التربية الإسلامية، ومنار التربية الإسلامية.

[12] - منار التربية الإسلامية السنة ثالثة إعدادي، ص 16، وص: 28، وانظر كتاب الرحاب أيضا.

وإذا أخذنا منهاج مادة التربية الإسلامية كمثال ونموذج للمواد الحاملة للقيم؛ نجد في دفتر التحملات الذي أصدرته وزارة التربية الوطنية في يونيو 2016 بمناسبة مراجعة منهاج مادة التربية الإسلامية- ما يلي: " المواصفات الخاصة بمحتوى الكتاب؛ (وذكرت الوثيقة من بينها):

ترسيخ القيم الإسلامية في بعدها الكوني كالقسط والرحمة والمحبة والتعارف؛ باعتبارها قيما ربانية تشترك فيها الإنسانية استنادا إلى منطلق كون الإسلام رسالة عالمية؛ ورسولها رحمة للعالمين" 13

فالوثيقة حددت قيما بعينها ينبغي تصريفها في الكتب المدرسية؛ لكن إلى أي حد استطاعت لجان وفرق التأليف مراعاة هذه القيم وفق الدروس والمواضيع المحددة؟ وهل تم استحضارها في بناء هذه الدروس ديداكتيكيا؟.

**الاشتغال الديداكتيكي وإدماج القيم:**

إن الإشكال الذي يعاني منه المنهاج التربوي المغربي بخصوص إدماج القيم في البرامج والمقررات الدراسية؛ هو غياب النسقية والانسجام بين المواد مما يؤثر بلا شك سلبا على القيم التي تروم كل مادة تمريرها وإكسابها للمتعلمين. كما أننا نلحظ ضعف أو غياب الخيط الناظم للقيم عبر مستويات المنهاج الثلاث؛ في حين نجد بعض النماذج من الأنظمة التربوية العالمية تعتمد قيما مركزية محددة تنبثق عنها مجموعة من القيم تتوزع مختلف المواد الدراسية الحاملة لها.

لكن الإشكال المذكور آنفا يزداد تعقيدا حينما ننتقل إلى التنزيل الديداكتيكي؛ فقد يكون المنهاج محكم البناء والانسجام، لكن تبقى عملية التنفيذ عليها الرهان في إكساب المتعلمين القيم المعلنة في المستويات العليا.

**الإطار المرجعي سبيلُ ضبطِ الاشتغال الديداكتيكي للأستاذ:**

يُعد الإطار المرجعي للمادة وثيقة تضبط الاشتغال الديداكتيكي للأستاذ في ظل تجربة تعدد الكتاب المدرسي التي أتى بها الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ففيه تُضبط الموارد الدراسية les ressources المقررة في المستوى المعين؛ وتعرف الكفايات والمهارات والقدرات المسطرة لهذا المستوى، كما تحدد شروط إنجاز التقويم. وإذا ما أخذنا الإطار المرجعي لمادة التربية الإسلامية كمثال فنجده يحدد مجالات المادة وكفاية المستوى؛ ثم موجهات لتقويم الكفاية؛ والمهارات الأساسية المستهدفة بالتقويم؛ حيث ذكر منها:

- اتخاذ مواقف نظرية أو سلوكية مسؤولة في وضعيات تواصلية أو حياتية؛

---

[13] - وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني؛ مديرية المناهج- **ملحق دفتر التحملات الخاص بتأليف و إنتاج الكتب المدرسية**؛ كتاب التلميذ(ة)- مادة التربية الإسلامية، جميع المستويات الدراسية بسلك الثانوي التأهيلي، يونيو 2016. ص: 2.

- بناء قيم المبادرة الإيجابية لتحقيق النفع العام؛
- تسديد السلوك وتوجيهه على أسس العقيدة الإسلامية ومبادئها وبوسائل الإقناع والحوار"[14].

وفي تنظيم المجال حددت الوثيقة القيم الناظمة لمنهاج التربية الإسلامية للسنة الأولى من سلك البكالوريا كالآتي:

- القيمة المركزية: "التوحيد"
- القيم المتفرعة عنها: الحرية – الاستقامة – الإحسان – المحبة"[15].

والجميل في الوثيقة أنها خصصت ستة نقط للمجال القيمي: ثلاث (3) نقط لاستخراج القيم وتوظيفها وتتضمن هذه العملية: تحديد القيمة – تثمين القيمة – اعتمادها في التقدير[16]. ثم ثلاث نقط (3) أخرى لتحديد المواقف والتعبير عنها وتعليلها؛ وتتضمن هذه العملية: تحديد الموقف – التعبير عن الرأي - التعليل[17]. والمواقف لا تحدد إلا انطلاقا من القيم التي اكتسبها المتعلم ولارتباطها بالجانب الوجداني بالدرجة الأولى.

لكن مما يلاحظ على الوثيقة أنها صَنفت اتخاذَ المواقف وبناء القيم وتوجيه السلوك وتسديده ضمن المهارات؛ وفي هذا من الخلط ما لا يخفى بين الموارد المكتسبة؛ حيث القيم والمواقف والاتجاهات عند المتعلمين هي ألصق بالجانب الوجداني وليس المهاري !.

إن المعاينة الميدانية تدل على أن الممارسة الديداكتيكية تقتصر في أفضل الأحوال على تعليم وتلقين المعارف؛ وفي بعض الأحيان قد تتجاوز ذلك للجانب المهاري، أما الجانب الوجداني/ القيمي فشبه غائب عن الاشتغال الديداكتيكي le travail didactique في مستوياته الثلاث:

**على مستوى التخطيط:**

والتخطيط يعبر عنه تحضير الأستاذ للسيناريو البيداغوجي المحتمل لتقديم الدرس؛ يعبر عن هذه العملية بالجذاذات التي ترسم الخطة العملية للتنفيذ؛ فعلى هذا المستوى تجد الجانب القيمي غائبا من

---

[14] - وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني ؛ **الإطار المرجعي لاختبار الامتحان الموحد الجهوي للسنة الأولى من سلك البكالوريا**؛ 21 نونبر 2016. مذكرة رقم 16/101.

[15] - **الإطار المرجعي** ص: 6.

[16] - **الإطار المرجعي** ص: 7.

[17] - المرجع نفسه؛ والصفحة نفسها.

الجذاذة؛ هذا في المواد الحاملة للقيم بشكل مباشر ناهيك عن المواد الأخرى! فلا يكاد المدرس يتحدث عن القيم المراد تمريرها وتعليمها للمتعلم رغم التنصيص عليها في الإطار المرجعي مثلا.

- **على مستوى التنفيذ:**

تبعا للمستوى السابق؛ إذا غابت القيم كأهداف يسعى الدرس إلى تحقيقها؛ فلا تجد لها أثرا في التنفيذ داخل الفصل إلا لماما حينما ينبه المدرس إلى بعض القيم أو يستنكر على المتعلمين بعض السلوكات مثلا. في حين أن المواد الحاملة للقيم تستهدف غرس قيم بعينها في نفوس المتعلمين وينبغي الاشتغال عليها (قيم دينية – قيم وطنية – قيم كونية ..).

- **على مستوى التقويم:**

مازال الإشكال العويص الذي تعاني منه المنظومة التربوية جملة هو مسألة التقويم؛ فرغم تبني المنظومة للمقاربة بالكفايات والتي من المفروض أن تستهدف تقويم الكفاية في شموليتها، غير أن واقع الممارسة والميدان يكشف بالوضوح التام أن التقويم في منظومتنا يستهدف المعارف ليس إلا. فأن تطلب من المتعلم أن يمسك الورقة والقلم وتطلب منه أن يجيب على أسئلة معينة فلا يعدو تقويم البعد المعرفي فقط! لذلك فإن التقويم في الممارسة الصفية يركز على المعارف بدرجة أولى ويغفل تقويم القيم مع أن هذه الأخيرة – عملية تقويم القيم – من الصعوبة بمكان.

## بيبليوغرافيا Bibliographie


- وزارة التربية الوطنية؛ **الميثاق الوطني للتربية والتكوين**؛ أكتوبر 1999.
- وزارة التربية الوطنية؛ **الكتاب الأبيض**؛ لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية للتعليم الابتدائي والثانوي الإعدادي والتأهيلي ربيع الأول 1423 يونيو 2002.
- المملكة المغربية؛ المجلس الأعلى للتعليم؛ **تقرير 2008**.
- وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني؛ **الإطار المرجعي لاختبار الامتحان الموحد الجهوي للسنة الأولى من سلك البكالوريا**؛ 21 نونبر 2016. مذكرة رقم 16/101.
- وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني؛ مديرية المناهج- **ملحق دفتر التحملات الخاص بتأليف و إنتاج الكتب المدرسية؛ كتاب التلميذ(ة)- مادة التربية الإسلامية، جميع المستويات الدراسية بسلك الثانوي التأهيلي**، يونيو 2016.

- أحمد أوزي **المعجم الموسوعي الجديد لعلوم التربية**؛ منشورات مجلة علوم التربية العدد 42. طبعة 2016.
- محمد الدريج؛ **الكفايات في التعليم**؛ سلسلة المعرفة للجميع. العدد 16 منشورات رمسيس الرباط؛ أكتوبر 2000.
- المهدي المنجرة؛ **قيمة القيم**؛ مطبعة النجاح الجدية - الدار البيضاء؛ الطبعة الثالثة 2008.
- وهابي عبد الرحيم؛ المناهج التعليمية ومنظومة القيم؛ مطبعة أنفو برانت فاس
- المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب. جامعة الدول العربية –الإدارة الثقافية 1968.
- منار التربية الإسلامية، السنة الأولى بكالوريا. محمد طابخ ومن معه. طبعة 2016
- في رحاب التربية الإسلامية السنة الأولى بكالوريا، يوسف بنعجيبة ومن معه، طبعة 2017.
- منار التربية الإسلامية، السنة الثانية بكالوريا. محمد طابخ ومن معه. طبعة 2016
- في رحاب التربية الإسلامية السنة الثانية بكالوريا، يوسف بنعجيبة ومن معه، طبعة 2017.
- منار التربية الإسلامية، السنة الثالثة إعدادي. محمد طابخ ومن معه. طبعة 2016
- في رحاب التربية الإسلامية السنة الثالثة إعدادي، يوسف بنعجيبة ومن معه، طبعة 2017.
- Dictionnaire actuel de l'éducation. Guérin Montréal, Canada.2005

# PADİR

İslami Psikoloji Hakemli Dergisi

# مجلة بادر

المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

ISLAMIC PSYCHOLOGY COLLEGE

**العدد الخامس – ديسمبر 2024**

**Issue 5 – December 2024**

**مجلة فصلية محكمة – تصدرعن كلية علم النفس الإسلامي**

**ISSN : 3023-6231**